حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ودعوته منذ ولادته حتى الهجرة الكبرى (دراسة تحليلية تاريخية)

ا. م. د. شاكر محمود أحمد الجبوري و م. د. عبدالرزاق لطيف جاسم

قسم حوار الأديان / كلية بلاد الرافدين الجامعة، ديالى،٣٢٠٠١، العراق

الملخص - إنّ دراسة سيرة سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) تعد أكثر مواضيع البحث التاريخي جذباً لعقول المؤرخين والمحدثين منذ القرن الأول الهجري وحتى الوقت الحاضر؛ لذا يهدف الباحث إلى تسليط الضوء على ولادته (عليه الصلاة والسلام)، ونشأته، ومرحلة شبابه، وعمله بالتجارة، وزواجه من السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، وبيان مكانته الاجتماعية، ومكانة عشيرته عند العرب، ودوره في حلف الفضول، ثم عن البعثة النبوية، وبداية الجهر بها، وهجرة المسلمين إلى الحبشة، وبيان آثار الحصار الذي فرضته قريش على بني هاشم والمسلمين، وعام الحزن الذي توفي فيه عمه أبو طالب وزوجته خديجة (رضي الله عنها)، ثم دعوته لأهل الطائف، وعن بيعة العقبة، وحول الهجرة الكبرى للرسول (عليه الصلاة والسلام) من مكة إلى المدينة، وفي ختام البحث توصل الباحثان إلى أنّ الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) الذي اختاره الله تعالى كانت حياته مليئة بالصعوبات والنكبات، لكن كل ذلك لم يثنيه عن القيام بأعباء الرسالة على أتم وجه وأن لنشأته وشبابه الأثر الكبير في التأسيس لذلك حيث اتصف بالصدق والأمانة وحسن الخلق ونال المكانة الاجتماعية المتميزة وأن بداية النصر الكبير للإسلام والمسلمين هي الهجرة الكبرى من مكة إلى المدينة حيث أقام أول دولة للإسلام.

كلمات مفتاحية: رسول الله، البعثة النبوية، بيعة العقبة، الهجرة الكبرى .

The Life of the Prophet Muhammad (All Prayers and Blessings of Allah be upon him) and his Calling from his Birth to the Great Migration::A Historical Analytical Study

Asst. Lect. Dr. Shaker Mahmood Ahmad and Lect. Dr.Abd-Alrazaaq Lateef Jassem

[1]Department of Interfaith Dialogue, Bilad Alrafidain University College, 32001, iyala, Iraq.

[*]Corresponding author: DrAbdAlrazaaq.@bauc/4.edu.iq

Abstract - The study of the biography of our master Muhammad (peace be upon him) is the most attractive topic of historical research to the minds of historians and modernists since the first century AH until the present time. Therefore, the researcher aim to shed light on his birth (peace be upon him), his upbringing, his youth, his work in commerce, his marriage to Lady Khdija the daughter of Khuwaylid (May Allah be pleased with her), as well as his social position and the position of his clan among the Arabs and his role in the alliance of curiosity, then about the prophetic mission and the beginning of its publicity. The study will also focus on the migration of Muslims to Abyssinia and an explanation of the effects of the siege imposed by the Quraish on Banu Hashim and the Muslims, and the year of grief in which his uncle Abu Talib and his wife Khadija ((May Allah be pleased with her) passed away) died, then his invitation to the people of Taif, the pledge of allegiance to Aqaba, and the great

migration of the Messenger (peace be upon him) from Mecca to Medina. At the conclusion of the research, the researcher concluded that the Messenger Muhammad (peace and blessings be upon him) chosen by God Almighty, his life was full of difficulties and calamities, but all this did not deter him from carrying out the news of the message in the most complete manner, and that his upbringing and youth had a great impact on the foundation for that, as he was characterized by truthfulness and honesty and good manners and he attained a distinguished social position and that the beginning of the great victory of Islam and Muslims is the great migration from Mecca to Medina, where he established the first state of Islam**.**

Keywords: The Messenger of God, Social position, pledge of allegiance to Aqaba and the great migration.

المقدمة

إنّ حدود هذا البحث لن تسمح لنا بأن نقدم جميع التفاصيل لحياة حافلة بالرجال العظام إلى هذا الحد ، كما هو الشأن في حياة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) هذا الرجل العظيم الذي جعله الله هدى ورحمةً للعالمين تعرض في حياته وهو يحمل رسالة الإسلام العظيمة إلـــى شتى أنواع العذاب النفسي، والجسدي ، ولكنّ إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته كانت أقوى من مخططات أعدائه ، رسمت له خريطة الحياة والنجاة فيها، وإنّ دراسة سيرة سيدنا الرسول محمد (صلى الله عليـــه واله وسلم) تعد من أكثر مواضيع البحث التاريخي جذباً لعقول المؤرخين والمحدثين منذ القرن الأول الهجري وحتـــى الوقت الحاضر، بل قد نجزم إذا قلنا أنّ علم التاريخ، وعلم الحديث عند المسلميـــن قد إرتبط بهذا الموضوع منذ البداية وتطور بتطوره وجعل من المستحيل على أي مؤرخ يحاول دراسة تاريـــخ الإنسانية أي كان مذهبه أو إنتمائه القومي في أن يتجاوز عصر الرسالة الإسلامية؛ لما كان لـــــه من تأثيرات عظيمة على العصور التي تلته ، وأيقن أصحاب الشأن بأن تاريخ العالم لا يمكن فهمه كمـــا ينبغي دون الإحاطة بما أنجزه الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه رضي الله عنهـم في هذا العصر؛ لذا نجد لزاماً علينا أن نتخير للعرض أهم الحوادث التـــي نراها ضرورية نعطيهـــا العناية التي تستحقها ، هذا إذا ما سلمنا وقلنا أن كل حياة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلـــم) وسيرته هي من الضروريات التي يجب أن يتوقف عندها كل إنسان ليأخذ منها الدروس والعبـــر والقيم الإنسانية النبيلة ومعنى الحياة الحرة الكريمة، لكن المقام لا يتسع كما ذكرنا إذ تنـــاول البحث ثلاثـــــة فصول:

الفصل الأول: محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله عليه واله وسلـــــم) وقد تضمـن أربعة مباحث كان الأول منها ولادة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والاختلاف فـــي سنـــة الولادة ، وعن نشأته (صلى الله عليه واله وسلم) في البادية في أحضان مربيته حليمة السعديـــة أمـــــا المبحث الثاني فكان عن كفالة جده بعد وفاة والده ووالدته ومن ثم رعاية عمه أبي طالب لـــه ، والمبحث الثالث عن مرحلة شبابه وعمله بالتجارة وزواجه من خديجة بنت خويلد ، والمبحث الرابع حول مكانتـــه الاجتماعية ومكانة عشيرته عند العرب ودوره في حلف الفضول وأهدافه.

الفصل الثاني: احتوى البعثة النبوية وقد تضمن ثلاثة مباحث ، المبحث الأول عن البعثـــة النبويـــة وبدايـــــة الجهـــر بالدعوة ، والمبحث الثاني كان عن الهجرة إلى الحبشة وما دار بين المسلمين وملكها ، المبحث الثالث ، كان عن الحصارالذي فرضته قريش على بني هاشم والمسلمين ومن ثم عام الحزن الذي توفي فيه أبو طالـــب وخديجة (رضي الله عنها).

الفصل الثالث الهجرة وقد تضمن ثلاثة مباحث المبحث الأول عن الطائف ورفضها دعوة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) للسلام والمناصرة والمبحث الثاني كان عن بيعة العقبة وتوافد أهل المدينة على الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) للمبايعة له والمبحـــث الثالث والأخير كان حول الهجرة الكبرى للرسول محمد (ﷺ) من مكة إلى المدينـــة.

وقد اعتمدنا في استمداد عناصر هذا البحث على كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم أولاً ومن ثـــم على أقدم المصادر كابن هشام (ت٢١٨هـ /٨٣٣م) في كتابه السيرة النبوية وابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، وكتابه الطبقات الكبرى ، والبلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان ، والطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) في كتابه تاريخ الرسل والملوك وتفسيره ، والمسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) في كتابه مروج الذهب . ومصادر ومراجع أخرى أغنت هذا البحث المتواضع ولا تقل عنها أهمية وأخيراً نتمنى أن نكون قد أوفينا الموضوع بعض حقه راجيان القبول والرضا ومن الله التوفيق إنه نعم المولى ونعم المعين.

الفصل الأول

المبحث الأول

مولد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

بعد أن أكمل سيدنا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام إقامة البيت الحرام فـــي مكة وقف يدعو ربه لأهل هذا البيت وكان من جملة أدعيته أن يبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يهديهم إلى عبـــــادة الله ويتلو عليهم آيات ربهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد إستجاب الله تعالى دعوى نبيه إبراهيم (عليه السلام) وبعد مئات من السنين بعث الله سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام فكان من منهجه أن بشر قومه بأن الله سيبعث من بعده رسول اسمه (أحمد) وأوصاهم بالإيمان به وتصديقه ونصرته ، فكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) دعوة أبيه إبراهيم وبشارة أخيه عيسى (عليهما السلام) [١].

وصاحب الدعوة أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـــاف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركــة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن محمد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، وأمه (صلى الله عليه واله وسلم) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القريشية الزهرية [٢]، وقد توفي عبد الله وزوجته آمنة حاملة بالنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وكانت وفاتها في المدينة عند أخواله بني عدي بن النجار وهو ابن (٢٥) سنة في رواية أخرى و(٢٨) سنة في رواية أخرى [٣]، وتمــر الأيام وآمنة التي فقدت زوجها وهي في بداية حياتها الزوجية تنتظر قدوم الوليد الذي تحمله ليخفف عنهــا شيئاً من ثقل مصابها، وتمر الأيام عليها وعلى الجد الشيخ الذي فقد ولده والذي ربما كان يتمنى في قرارة نفسه أن ترزق الأرملة الشابة بولد ذكر يعوضه عن ولده الذي فقده؛ ولذلك فقد أبقاها تعيش في كنفه وبين دور بني عبد المطلب ولم يسمح لها بالعودة إلى أهلها وقد أخذ على نفسه رعايتها إكراماً للوليد الذي تحمله في بطنها [٤].

ثم ولد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في دار جده عبد المطلب ولقد سماه جده محمداً، فلما سئل في ذلك، ولماذا رغب عن أسماء آبائه قال : أردت أن يكون محموداً في السماء لله جل في علاه وفي الأرض لخلقه، ولقد إختلف المؤرخون في الساعة واليوم والشهر والسنة التي ولد فيها ، والمشهور أنه ولد بمكة بعد وقعة الفيل بخمسين يوماً في ليلة العاشر من ربيع الأول [٥]، وقيل في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول [٦]، وهي تقابل ليلة العشرين من شهر آب سنة (٥٧٠) ميلادية.

وقد ورد في رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن مولده ما يأتي

(أخبرنا محمد بن عمر بن وافد الأسلمي قال : حدثني علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن رفعة عن أبيه عن عمته قالت: لما ولدت آمنة بنت وهب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أرسلت إلى عبد المطلب فجاءه البشير وهو جالس في الحجر معه ولده ورجال من قومه فأخبر أن آمنة ولدت غلاماً، فسر ذلك عبد المطلب وقام هو ومن كان معه فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت من نور سطع منها أضاءت لـــه قصور بصرى، ومن نور أضاءت منه قصور الشام، وما قيل لها وأُمرت أن تسميه (محمداً) فأخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة ثم أعاده إلى أمه وقد سماه (محمدا)) [٧].

وقد اعتادت الأسر العربية الشريفة من سكان المدن إرسال أبنائها بعد ولادتهم إلى الباديـــة ليتعود الطفل على طبيعة الحياة العربية في البادية [٨]، وأن بني عبد المطلب شأنهم شأن أشراف الـعرب أخذوا يبحثون عن مرضع لوليدهم الجديد بيم مراضع العرب اللواتي يأتين من البادية إلى المدن لهذا الغرض، وقد صادف في

الوقت الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن وصلت إلـــى مكة عشر من المراضع اللواتي ينتسبن إلى بني سعد [٩]، ومن هوازن القبيلة العربية المشهورة بقوتها والتي تسكن البادية التي تقع جنوب شرق مكة ، وإنّ أول من أرضعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلـم) أمه آمنة بنت وهب وقد قامت برضاعته في الأيام الأولى من مولده [١٠] ثم قامت ثويبة جارية عمـــه أبي لهب بإرضاعه [١١] ولم يطل المقام برضاعة ثويبة لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حتـــــى أرضعته امرأة من بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور يقال لها حليمة السعدية[١٢].

وقد وردت عدة روايات؛ لتثبيت اختيار المرضع لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلا أنّ أقربها للواقع ، لقاء عبد المطلب مع حليمة السعدية التي لم تجد رضيعاً خلاف صويحباتها فسألهـــا : من أنت ؟ فقالت أنا امرأة من بني سعد فقال : ما اسمك ؟ قالت : حليمة . فقال : بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد فقال يا حليمة أن عندي غلاماً وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين أن يقبلنه وقلن : ما عند اليتيم من الخير ! إنما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به ؟ فقالت : ألا تذرني أشاور صاحبي ؟ فوافق زوجها أبو كبشة [١٣] فعادت حليمة إلى عبد المطلب فوجدته بانتظارها فقالت له : هلم الصبي ، فتهلل وجه عبد المطلب فرحاً فسار إلى بيت آمنة وأدخلها فرحبت بهـــــا آمنة وأدخلتها الغرفة التي فيها الطفل فإذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء راقد علـــى ظهره ففتح عينيه فحملته فقبلته بين عينيه وأخذته [١٤]، هذا وقد نعمت حياة حليمة السعدية وعائلتها ببركات رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فحسنت معيشتها وقد جاءها من الخير من الله ما أغناها وأسعدها وكانت العادة عند الأسر الكبيرة فـــي المجتمع المكي تقضي بأن يبقى الطفل الرضيع مع مرضعته حتى يبلغ الثامنة أو العاشرة من عمره، أي: حتى يشتد عوده وبعد أن قضى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سنتين من عمره وبلغ مرحلة الفطـــام عند مرضعته أتت به إلى مكة لتراه أمه وكانت تتوقع أنّ أمه سوف تحتضنه ولا تدفعه لها عند عودتها، ومما رأت من بركاته في حياته وحياة أسرتها عزمت على إقناع أمه بأن تبقيه معها في البادية حتى يشتد عوده ويبتعد عن أمراض المدينة وأخذت تلح على والدته بذلك حتى رضيت ودفعته به إلى ديار بني سعد [١٥].

عاش رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في ديار بني سعد ما عاش من الزمن ثم قامت مرضعته بإعادته إلى مكة، وحينما وصلت أعالي مكة ليلاً وقضت ليلتها هناك وكانت عازمة على الدخول إلى مكة نهار الغد إلا أنّها افتقدت الصبي صباحاً فلم تجده وبحثت عنه دون جدوى فأخذت طريقها إلى عبد المطلب الذي كان في مجلسه عند الكعبة فقالت له : إنّي قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت في أعالي مكة أضلنـــي وبحثت عنه فلم أجده، فبعث عبد المطلب من يبحث عن حفيده، وبينما كان عبد المطلب واقفاً ينتظر قدم إليه ورقة بن نوفل ومعه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فدفعه إلى جده وقال له إنه وجده بأعالـي مكة فأخذه جده وأرسله إلى أمه [١٦].

أعادت حليمة السعدية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلى أمه وعمره بين الرابعة والخامسة [١٧] فأصبح تحت رعايتها ورعاية جده عبد المطلب الذي كان يرى فيه أموراً تجعله يجزم أنـــّه سيكون لحفيده هذا شأن كبير وذلك؛ لما كان يتوسمه فيه من نجابة وحسن الخلق، وجمال الخلقة، وحسن التصـــرف، والمنطق السليم الذي كان يتحلى به على صغر سنه فكان لا يأتي ما يأتيه الأطفال الذين هم من سنه، فكان يوضع لجده شيخ مكة فراش في ظل الكعبة يجلس عليه ومن حوله وجهاء قومه وأولادهم ولا يجرؤ أحـد منهم على أن يجلس عليه تعظيماً له واعترافاً منهم برفعة شأنه بينهم، فكان رسول الله (صلى الله عليـــه واله وسلم) يأتي وهو غلام صغير فيجلس على فراش جده فينحيه عنه أعمامه فيقول لهـــم عبد المطلب : ((دعوا ابني فو الله إن له شأناً)) ثم يجلس إلى جانبه ويمسح بيده على ظهره حباً له وحناناً به [١٨].

المبحث الثاني

كفالة جده (صلى الله عليه واله وسلم) ورعاية أبي طالب له

تكفل عبد المطلب حفيده بعد وفاة أمه وكانت حياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الأولـــى عبارة عن نتف من الأخبار تناقلتها الألسن جيلاً بعد جيل ولم يصلنا منها إلا القليل الأمر الذي جعل حياته الأولى يكتنفها بعض الغموض، عاش رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد وفاة أمه في كنف جده سنتين، أي: أنّه

أصبح في الثامنة من عمره، وكانت جاريته أم أيمن هي التي رعت شؤونه بعد أمه وقد عاش معها عمره حتى بلغ مبلغ الرجال وكانت هي المسؤولة عن خدمته وتدبير شؤونه المنزلية فأصبحت بمقام أمه، وكان (صلى الله عليه واله وسلم) يقول لها : أنت أمي بعد أمي [١٩]، وكان عبد المطلب من شدة تعلقه بحفيده لا يأكل طعاماً إلا أجلسه إلى جنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب الأطعمة ويضفي عليه الحنان ما لا يضفيه على أولاده أنفسهم.

وقد ظهرت على ملامح رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أمارات العظمة منذ طفولته، فقد كانت له جاذبية خاصة تميزه عن أقرانه الذين هم في مثل سنه، فقد كان محبوباً بين أهله وعشيرته ما لا يرى في غيره، وكان عبد المطلب كلما رآه يزداد يقيناً أنه سيكون لحفيده شأناً كبيراً بين قومه؛ لأنّه لا يأتي ما يأتيه الصبيان الذين هم في مثل سنه ولا يتصرف إلا كما يتصرف الرجال البالغون في العمر، وكان كلامه بليغاً يشبه فعاله، فكان عبد المطلب يخشى عليه ويرعاه بشكل غير إعتيادي، فكان (صلى الله عليه واله وسلم) كل ما كبر في العمر إزدادت نظرة الإعجاب والمحبة التي كانت تخصه بها عشيرته وقومه وذلك؛ لما كان يتميز به من صفات جعلته موضع احترام الجميع وتقديرهم [٢٠].

وقد مرت قريش سنون كان يحبس بها المطر فتجدب الأرض وتهلك البهائم فتطلب قريش من عبد المطلب أن يخرج لدعاء الإستسقاء فكان يخرج هو وقومه من خلفه علي جبل ابي قبيس وكان يمسك بيده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهم يدعون السماء أن تمطر لهم فما يبرحوا مكانهم حتى تمطر السماء وتمتلئ الأودية بالمياه[٢١]، وعاش رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مع جده معززاً مكرماً نحو السنتين وقد بلغ بذلك الثامنة من عمره، ولما حضرت الوفاة عبد المطلب أوصى برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلى ابنه أبي طالب عم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وشقيق والده.

توفي عبد المطلب بمكة سنة (٥٧٨) ميلادية وقد اختلفت الآراء حول عمره فقد كان من المعمرين [٢٢] وقيل أنّه توفي وهو يومئذ ما بين الثمانين والتسعين فبكاه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهو بعد ابن ثماني سنين خلف سريره، ودفن عبد المطلب بالحجوب بمكة [٢٣] وذكر أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((وكان الزبير بن عبد المطلب وأبو طالب أخوي عبد الله والد النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، لأمه فاطمة بنت عمر بنت عائذ بنت عمران بن مخزوم وكان الزبير اسنهما [٢٤] فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يتكفل برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فأصابت القرعة أبا طالب ، فضمه إليه وقيل بل اختاره رسول الله على الزبير إذ كان أبو طالب ألطف عميه به، وقيل أن عبد المطلب أوصاه بأن يكفله بعده [٢٥])).

وتكفل أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان عمره ثماني سنوات، ولما كان يعلمه أبو طالب بشأن ابن أخيه فقد كانت له منزلة في قلبه فكان يؤثره على أولاده وقد أحبه كما لم يحب أحداً من أولاده فكان لا ينام إلا إلى جانبه ، وكان يخصه بأحسن طعام، وعاش رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في بيت عمه، وكلما مرت عليه السنون اشتد عوده وظهرت عليه ملامح العظمة وعلت منزلته بين عشيرته وقومه ، وكلما مرت الأيام كان عمه أبو طالب يجد في إبن أخيه النجابة والذكاء والبر وطيب النفس مما يزيده تعلقاً به ويلاحظ فيه إنساناً كان الله سبحانه وتعالى يرعاه ويهيئه لمهمة عظيمة وهي تبليغ رسالته فطهره من دنس الأمور، فثبت بين قومه متمسكاً بمكارم الأخلاق حتى أصبح أفضلهم مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأشدهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، وسوء الخلق [٢٦].

ولما بلغ النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الثانية عشر من عمره خرج أبو طالب إلى الشام في تجارة وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يألفه ولا يفارقه، فسأله أن يصحبه، فأبى أبو طالب ضناً به وخوفاً عليه من مشقة الطريق فأغتم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وبكى [٢٧] وقال يا عم إلى من تكلني: لا أب لي ولا أم ، فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً [٢٨]، وأخرجه معه، فلما وصلت القافلة إلى بصرى من أرض الشام، رآه راهب نصراني منقطع في صومعة له ببصرى، يقال له بحيرى أو بحيراء ، ولمح في النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مخايل النبوة وعلامتها، فأوصى أبا طالب بأن يعود به إلى بلده وأن يحذر عليه من اليهود [٢٩]، فما كان أبو طالب ينتهي من تجارته بالشام حتى بادر بالعودة إلى مكة ولم يسافر به بعد ذلك خوفاً عليه [٣٠].

وقد إختلفت الروايات في تقدير عمر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حينما صحبه عمه في هذه الرحلة التجارية، فقد ذكر الطبري أن عمره كان تسع سنوات [٣١]، بينما أورد ابن قتيبة وابـن سعد رواية تشير إلى أن عمره (صلى الله عليه واله وسلم) كان اثنتي عشر سنة [٣٢]، وقد أتاحت هذه الرحلة للرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) على الرغم من صغر سنه أن يشـــاهد العديد من القرى والمدن خارج بلده، فرأى مدين وبصرى ووادي القرى ومواقع جميلة أخرى، وشاهد رهباناً ونصارى يقيمون فـي تلك الأماكن (٣٣) وكانت تلك المشاهدات لها الأثر الكبير في توسيع دائرة تفكيره (صلى الله عليـــه واله وسلم) واهتماماته في حدود معينة، فكانت كفالة أبو طالب للنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في الحقيقـــة خير كفيل له وخير أب، فقد أحبه حباً جماً وترعرع محمد (ﷺ) في كنف هذا العـــــم الفاضل الذي رعاه وحماه طوال حياته، ولم يخذله في أشد محنة ضراوة عندما تألبت عليه قريش، ولـــم يتخل عنه حتى حينما كادت تنشب حرب بين بيت عبد المطلب وباقي قريش لما أصر رسول الله (صلـــى الله عليه واله وسلم) على دعوته ومنعه منهم أبو طالب وحماه [٣٤].

المبحث الثالث

مرحلة الشباب وبيت الزوجية

كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يتقدم في العمر خلال هذه المرحلة من حياته حتـــــى تخطى منتصف العقد الثاني من عمره وقد أصبح شاباً وسيماً جلداً شجاعاً بعين أهله وعشيرته على نوائب الحياة مما جعله موضع احترام وتقدير كل من يعرفه من سكان مكة ، وقد شارك قومه في الحياة العامة ، ومن النتف القليلة التي وردت عن حياته (صلى الله عليه واله وسلم) خلال هذه المدة أنه شارك قومه فـي أحداث كثيرة نذكر منها:

أولاً: حرب الفجار// لقد وصمت العرب القتال خلال الأشهر الحرم (بالفجور)؛ ولذلك سميت الحروب التي نشبت بين القبائل خلال هذه الأشهر ((بحروب الفجار)) ومن هذه الحروب حرب نشبت بين قبيلـة كنانة ومنها قريش من جهة وبين قبائل قيس عيلان (ومنهم هوازن وغطفان وسليـــم وثقيف ومحـارب وعدوان) من جهة أخرى ، وكان سبب هذه الحرب هو قيام أحد أفراد قبيلة قيس عيلان تولـى حماية قافلة تجارية تعود للنعمان بن المنذر متجاوزاً في ذلك على حقوق أحد أفراد قبيلة كنانة في حمايتها فقام البراص بن قيس من كنانة بقتل عروة الرحال من قبيلة هوازن وإستولى على القافلة مما أدى إلـــى نشوب الحرب بينهما في الأشهر الحرم التي لا يجوز القتال فيها [٣٥].

وقد روى أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) شارك في هذه الحرب إلى جانب أعمامـه وهو يقول (ﷺ) ((كنت أنبل على أعمامي أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها)) [٣٦]، وقد ذكر ابن إسحاق أنّ حرب الفجار نشبت ورسول الله (ﷺ) ابن عشـــرون سنة [٣٧]، وذهب إلى نفس الرأي كل من ابن قتيبة [٣٨]، والطبري [٣٩]، وابن سعد [٤٠]، والمسعودي [٤١]، إلا أنّ ابن هشان يروي أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان عمره أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة في ذلك الحين [٤٢].

ويتضح مما تقدم أنّ ابن هشام إستند في ذلك الحين إلى أنّ دور رسول الله (صلى الله عليه واله وسلـم) في هذه الحرب كان مقتصراً على مساعدة أعمامه في القتال وليس مباشرة القتال بنفسه، غيـر أنّ أغلب الروايات كما أشرنا إليه سابقاً قد رجحت إلى أنّ عمر الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كـــان عشرين عاماً وأنّه شارك بصورة فعلية في القتال إلى جانب أعمامـــه وقد روي عن الرسول (ﷺ) أنه قال عن يوم الفجار : ((قد حضرته مع عمومتي ، ورميت فيه بأسهم وما أحب أنـي لـم أكن فعلت)) وقد إنتهت الحرب بالصلح بين الطرفين [٤٣].

ثانياً: حلف الفضول وهو الحلف الذي دعي إليه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكان يرى فيـــه العدالة الإجتماعية، وسنتناول ذلك بالتفصيل في المبحث القادم في هذا البحث.

ثالثاً : سفرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الثانية إلى بلاد الشام كان محمد (صلى الله عليه والـه وسلم) يعيش في بيت عمه أبي طالب كما ذكرنا سابقاً في ثنايا البحث وكان عمه كثير العيال وليس لـــه مال [٤٤] وكان الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في صغره وصباه يعمل في رعي الغنم لقـــاء أجور بسيطة لمساعدة

عمه وتخفيف أعباء الحياة عنه، وبعد أن تجاوز مرحلة الصبا وبلغ مرحلة الشباب (صلى الله عليه واله وسلم) ترك مهنة الرعي وأخذ يشتغل بعمل يناسب عمره ويدر عليه بأرباح أوفر وهو العمل بالتجارة مهنة آبائه وأجداده [٤٥]، ولما تجاوز النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سن العشرين وجهته السيدة خديجة بنت خويلد وكانت امرأة شريفة موسرة ذات تجارة عريضة إلى الشام في تجارةٍ لـها وذلك حينما بلغتها أمانته وصدقه ووفائه، وكانت خديجة بنت خويلد المرأة الغنية والتاجرة الكبيرة فـــي مكة ترسل تجارتها مع من تختاره من الرجال مقابل أجر تجعله لهم [٤٦]، وبما أنها من أشراف عوائل مكة فإن محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) لم يكن غريباً عنها فهي تعرفه حق المعرفة ولابد أنهـا كانت تتمنى أن يخرج بتجارتها، وبعد أن نصحه عمه أبو طالب بأن يعرض نفسه على خديجة، وسمعت بذلك فاتصلت به وعرضت عليه أن يخرج بتجارتها على أن تضاعف له الأجر وأن تعطيه أفضل ما كانت تعطيه لغيره من التجار [٤٧].

كان محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) في هذا الوقت انساناً كبقية النـــــاس يعمل ليأكل ويشعر بالتعب عند شدة العمل ويحس بالحر والبرد ويتأثر بهما كغيره من الناس إلا أنه كان يتميـــز عن غيره بصفاته الشخصية فهو شجاع صبور شديد التحمل للمتاعب عديم الشكوى قليل الكلام قوي الملاحظة دائم التفكير، فضلاً عن صفاته الخلقية التي جعلته يتميز على كثير من أقرانه التجار الذين رافقهم في هذه الرحلة فجاءت تجارته مربحة [٤٨].

إنتهت أعمال القافلة في بلاد الشام فكل تاجر باع ما جلبه واشترى ما رغب في جلبه إلى أسواق مكة، عادت القافلة أدراجها إلى مكة ساعة الظهيرة، كانت خديجة تنتظره في علية لها، فلما رأته نزلت إلـى فناء دارها واستقبلته، ولقد ربحت تجارتها هذه ضعف ما كانت تربح مثيلاتها، وأقبل غلامها ميسرة الذي كان يرافق محمداً بتجارتها فروى لها ما رآه من حسن خلق محمد (ﷺ) وما عمله فـــي تجارتها وحرصه على أموالها وصدقه في معاملاته، وما بشره به أحد الرهبان من أهل الشـــام ويدعى نسطور الراهب من نبوته [٤٩]، فلما سمعت من ميسرة ما سمعته ورأت من أمانته وبركته ما رأته رغبت في أن تتزوجه بعد أن فكرت جدياً بالإقتران به وإزداد تعلقها به.

وكانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، قريشية من بني أسد، امرأة حازمـة جلدة شريفة غنية جميلة [٥٠]، وهي من أواسط بني أسد نسباً وأعظمهم شرفاً وكانت تدعى قبل زواجها من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالطاهرة وبسيدة قريش لشخصيتها القوية وخلقها القويم [٥١]، وكان لها مكانة مرموقة بين نساء قريش لغناها، مما جعلها تكسب استقلالية في إدارة شؤونها المالية ، فكانت لها تجارتها الخاصة وأموالها الكثيرة مما جعلها تعد من كبار قريش، ولم تفكـر بالزواج بعد أن صدت أكابر رجال قريش الذين أرادوا الزواج بها، إلا أنّها بعد أن رأت محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) وهو يقف أمامها قبل سفره إلى بلاد الشام تحركت في نفسها مشاعر الحب له بعد أن سمعت عنـه الكثير في أندية قريش وبيوتها، وبعد أن ذهب برحلته أخذت تقارن بينه وبين من تقدموا إليها ورفضتهم فلم تجد في قرارة نفسها من يوازيه في المكانة ولا تجد ما يمنعها من الاقتران بهذا الشاب، ولـــم يكن لمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) أية فكرة للزواج وهو في هذا العمر، ولم يكن فـي وقت من الأوقات طمعاً في الغنى عن طريق الزواج أو غيره.

فقد كان يعيش حياة هادئة قانعاً بما كان بين يديه من أسباب العيش، وهو لم يفكر حتى بسفرته إلى بلاد الشام لولا عرض عمه أبي طالب الذي فاتحه بذلك وأخبره بأنه مستعد لمفاتحة خديجة بنت خويلـد لتوكله بتجارتها [٥٢]، أرسلت خديجة صديقتها نفيسة إلى محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لتلوح له بالأمر ولتعلم رأيه فـي الزواج فاجتمعت نفيسة بمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقالت له: يا محمد ما يمنعك من الزواج ؟ قال: ما بيدي ما أتزوج به، فقالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية، ألا تجيب ؟.

قال فمن هي؟ قالت : خديجة . قال: وكيف لي إلى ذلك ؟ فقالت: علي. قال : أنا أُفَضِّل [٥٣]، ولم يكن جواب محمد (صلى الله عليه واله وسلم) القطعي بالموافقة وليد اللحظة، فمن المؤكد أنّه كان يعرف خديجة معرفة جيدة، فذكر محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ذلك لأعمامه وأهلـــــه، وقد ذكرت خديجة ذلك إلى أهلها وعشيرتها فبارك الطرفان هذا الزواج، فقد حضر وجهاء بني هاشم وعلـى رأسهم عم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أبو طالب وعمه الحمزة ووجهاء بني أسد وعلى رأسهم عمها عمرو ابن أسد وابن عمها ورقة بن نوفل [٥٤]، وعلى هذا الأساس قام أبو طالب خطيباً فقال: الحمـد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل

وضئضئ معد (أي معدنه)، وعنصر مضر وجعلنـــــا حضنة البيت وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخــي هذا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لا يوزن برجل إلا رجح عليه شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قلة فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة [٥٥]، وجلس ثم قام ابن عمها ورقة بن نوفل خطيباً مجيباً أبـــا طالب وذكر المهر، فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها: أشهدوا علي معاشر قريش أني قد زوجت خديجة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وقد بذل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لهـــا من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشر أوقية من الذهب وفي رواية أخرى ذكر ابن إسحاق أن الرســول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قد دفع صداقاً أي مهراً لخديجة (رضي الله عنها) عشرين بكـــرة أي عشرين جملاً [٥٦]، وعلى هذه الصورة تزوج النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خديجة، وقد أولم وليمة بهذه المناسبة السعيدة لأول مرة في حياته فذبح جزوراً وقيل جزورين وأطعم الناس [٥٧]، وبزواج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من خديجة انتهت إقامة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في بيت عمه أبي طالب ، فانتقل إلى بيت زوجته خديجة في ربوع بنـــي أسد، قرب المسجد الحرام [٥٨]، وبهذا الزواج الميمون قد تهيأت للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حيـــــــاة الاستقرار والطمأنينة وعدم القلق والتفكير في سبيل العيش بما أغنته أموال زوجته خديجة (رضي الله عنها) إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة العمل، فقد خصص جزءاً من وقته لإدارة أموال خديجة (رضي الله عنـــها) والإشراف على تجارتها [٥٩].

وقد ذكر ابن قتيبة أنّ حياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مع خديجة (رضي الله عنها) منذ زواجه منها وحتى وفاتها قبل هجرته (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة بثلاث سنوات، علـــى مدى أربع وعشرين سنة وعدة شهور، كانت حياة سعيدة أنجبت له جل أبنائه وبناته ، عدا إبراهيـــم الذي أنجبته ماريا القبطية بعد هجرته إلى المدينة [٦٠]، وهم القاسم، وبه كان يكنى فيدعى أبا القاسم (صلى الله عليه واله وسلم) والطاه، والطيب، وتوفي ثلاثتهم وهم صغار قبل البعثة [٦١]، أما البنات فهن : زينب وقد تزوجها أبا العاص بن الربيع ، وبقيت معه حتى وفاتها في السنة السابعة للهجرة، ورقية وقد تزوجها عتبة بن أبي لهب، إلا أنّ أباه أمره بتطليقها نكاية بالرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بعد البعثــة وتزوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فبقيت معه حتى وفاتها في المدينة في السنة السابعة للهجـرة، وأم كلثوم تزوجت من عتيبة بن أبي لهب وفارقها قبل أن يدخل بها ، فتزوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد وفاة أختها وقد بقيت معه حتى وفاتها في السنة الثامنة للهجرة، وفاطمة وقد تزوجت من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد سنة من الهجرة إلى المدينة وقد أنجبت له الحسن والحسين والمحسن وأم كلثوم وزينب توفيت بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بمائة يوم [٦٢].

المبحث الرابع

مكانته الإجتماعية (صلى الله عليه واله وسلم) ودوره في حلف الفضول

إنّ أسرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) معروفة لدى القبائل العربية كلّها بعلو منزلتهـــا وإنتماءها لقريش، فضلاً عن بقية القبائل العربية التي آمنت بمكانتها السامية؛ لأنّها حامية الحرم الشريف وخادمته، وأنّ عائلته (صلى الله عليه واله وسلم) كانت تمسك بزمام رئاسة هذه القبيلة منذ زمـــن جده قصي بن كلاب وحتى جده المباشر عبد المطلب بن هاشم لكافية أن تجعله في قمة شرف المنزلة النسبيــة بين العشائر العربية [٦٣]، أخذت العشائر العربية الأخرى تدين لقريش بالرياسة الدينية والمادية قبل مبعث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)؛ لتوليهم شؤون البيت الحرام وسيطرتهم على التجارة بيـــن اليمـــن وبلاد الشام، وقد أكسبتهم هذه التجارة قوة مادية جعلت بقية العشائر تنظر اليهم بعين الإكبار والإجلال، ويؤكد ذلك ما قاله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في سقيفة بني ساعده بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حينما ناقش الأنصار حول الخلافة فقال لهـــم ((إن العرب لا تدين بالرئاســـــة لغير قريش)) [٦٤].

وهذا يدل على المنزلة التي وصلتها قبيلة قريش بين العرب في تلك المدة ولأجداد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) منزلة رفيعة بين قومهم فهم أولاد عدنان وهم شيوخ بني كنانة التي إنحدرت من نسل إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام)، وكان لكلاب بن مرة منزلة كبيـــرة بين العرب إذ أرخت العرب بيوم وفاته

حتى عام الفيل، وكان كعب جد كلاب عاش القرن الرابع الميلادي شيـــخ قبيلته، وكان يجمع القبيلة مرة كل أسبوع وفي يوم معين سمي هذا اليوم في بادئ الأمر ــ يوم العروبة ــ ؛ وذلك للتداول في شؤون أفراد القبيلة ومساعدة بعضهم البعض الآخر ثم سمي بعد ذلك ــ يوم الرحمـــة ــ أيضاً وهو الذي صار فيما بعد يوم الجمعة [٦٥]، أما قصي بن كلاب فمنزلته معروفة بين قومه وانجازاته لبني إسماعيل كبيرة فهو الذي جمعهم في مكة بعد أن شتتهم خزاعة في البلاد، وهو الذي أعاد حقوقهم في مكة والبيت الحرام بعد أن جردتهم منها قبيلة جرهم وهو أول من سميت قريش باسمها هذا على عهده لأنه جمعهم في مكة وهو الذي جمع وظائف البيت الحرام في يديه ومارسها في حياتـــه ومن بعده أولاده حتى عبد المطلب جد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو أول من أمر قريش ببناء الدور حول البيت الحرام وبذلك فأنه يعد مؤسس مدينة مكة ذات الأبنية، وهو الذي بنى دار الندوة، ووضع نظـــام الشورى ولذلك يعد مؤسس نظام حكم الشورى في المجتمع العربي [٦٦].

ولرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) منزلة بين قومه يعرفها أعداؤه كما يعرفها أتباعـه ويقرون بها أمام من يسألهم عنها ورفعة نسب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بين قومه وعلو شأنهم وسمـو منزلتهم سواء كان ذلك بين قومهم أو بين العرب جميعاً، جعلهم سادة وشيوخاً لقومهم وأن مجيء رسـول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وكونه من ذريتهم زادهم شرفاً وسمواً بين سائر المسلمين وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : ((بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنـاً ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه)) [٦٧].
وعن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ((إنّ الله إصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً وإصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)) [٦٨].

ولقد تجسدت مكانة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقوة شخصيته ومركزه في قومه حينمـــا حصل خلاف شديد بين القبائل المكية حول وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء الكعبة المشرفـــة، إذ كانت كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر الأسود في مكانه وبسبب هذا الخلاف بين القبائـــل توقفت قريش أربع ليالي أو خمساً، ثم إجتمعوا في المسجد فتشاورا بينهم [٦٩]، وتفيد الروايات أنّ أبـــا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو سيد قريش وله منزلة كبيرة بين قبائلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد أن يكون حكماً ، فتوافقوا علـى ذلك، فدخل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عليهم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا بمـــا يقضي بيننا، فلما أخبروه (صلى الله عليه واله وسلم) بالخبر ، فقال : هلموا ثوباً ، فأتوا به فوضع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الركن فيه بيديه، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعـوا جميعاً فرفعوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه رسول الله (صلى الله عليه والـــه وسلـــم) بيده ثـم بنى عليه [٧٠].

وبعد إنتهاء حرب الفجار التي نشبت بين قريش وهوازن وبعد موت زعماء قريش الأقوياء من أمثال هاشم وعبد المطلب أصاب قريشاً التفكك والانشقاق، وحرص بطن من بطونها على أن ينفرد بزعامـــة القبيلة [٧١]، وللمحافظة على مكانة قريش بين العرب وهيبتها إتفقت مجموعة من الشخصيات القريشيـــة المرموقة أن تقوم بعمل من شأنه أن يحافظ على جمع الكلمة وعدم تفرق القبيلة فأطلق الزبيـــر بن عبـــد المطلب الدعوة لعقد بين من يرغب من بطون قريش يتعهدون فيه بنصب أنفسهم على نصرة المظلوم على الظالم وقد دعي هذا الحلف بـ(حلف الفضول) [٧٢]، تستفيد منه قريش ومن يحضر الحرم الشريـــف من العرب، وكان من نتيجة تلك الدعوة أن اجتمع رؤساء البطون التي تحالفت في حلف المطيبين وهم بنـــو هاشم وبنوا المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تميم بن مرة [٧٣]، في دار عبد الله بن جدعان الذي كان من بني تميم بن مرة وذلك؛ لشرفه وكبر سنه إلى جانب قدرته المالية التي جعلتـــه يصنع طعاماً للمجتمعين وغيرهم من الناس فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلـــها أو ممن دخلها من غيرهم إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، لقد تم عقد حلـــف الفضول في شهر ذي القعدة من عام (٣٣) قبل الهجرة وبعد حرب الفجار بثلاثة أشهر [٧٤] وتم عقد حلف الفضول وتعاهدوا المتحالفون من خلاله على ما يلي :

١. ألاّ يظلم في مكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذ له بحقه ويكونوا مع المظلوم حتى يؤدوا له مظلمته ممن ظلمه شريفاً كان أو من غيرهم أو يبلغون في ذلك عذراً.
٢. على ألاّ يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه.
٣. العمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ما بل بحر صوفه وما رسى حراء وثبير مكانهما.

٤. العمل على التأسي في المعاش والتساهل بالمال [٧٥].

وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حين عقد هذا الحلف شاباً في العقد الثانـي من عمره وقد حضر المأدبة التي أقامها عبد الله بن جدعان في داره وكان (صلى الله عليه واله وسلم) يرى فـــي هذا الحلف عدالة إجتماعية، فقد روي عنه (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه قال في حديث له :

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى لمثله في الإسلام لأجبت) [٧٦]، ومن حديثه (صلى الله عليه واله وسلم) هذا أنّه كان يؤيده حتى في العهد الإسلامي ، ويعد هذا الحلف أشـرف حلف عقدته العرب في تلك الحقبة من الزمن ، وقد إستمر الحلف قائماً بين المتحالفين حتى خلافة معاويـة بن أبي سفيان، فقد ذكر أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وبين الوليد بن عتبة بن أبـي سفيان الذي كان أميراً على المدينة فنازعه في مال كان بينهما بذي المروءة، وكان الوليد يماطل الحسين في حقه لسلطانه فقال له الحسين : احلف بالله لتنصفني في حقه أو لأخذت سيفي ثم لأقوم في مسجد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم لأدعون بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير الذي كان من بني أسد وهو عند الوليد: وأنا أحلف بالله أنّه إذا دعي به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتـى ينصـف من حقه أو نموت جميعاً، ثم قام المسور بن محزمة بن نوفل الزهري فقال : مثل ذلك وقام عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال : مثل ذلك، فلما بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من حقه حتى رضى [٧٧]، كان حلـف الفضول نوعاً من أنواع السلطة التي فرضت نفسها على المجتمع المكي مختارة، فقد تطوعت هذه الجماعة التي تحالفت فيما بينها فنصبت نفسها وتحملت مسؤولية نصـرة الحق وتطبيق العدالة لخدمة المجتمع المكي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة .

الفصل الثاني
البعثة النبوية والهجرة إلى الحبشة والحصار وعام الحزن

المبحث الأول
البعثة النبوية وبداية الدعوة

لما بلغ النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أربعين سنة من عمره بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وأول ما بدأ به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من الوحي الرؤيا الصادقة أثناء نومه فكان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح [٧٨]، ثم حبب إليه الخلاء والانفراد بنفسه، فكان يخلـو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو في الغار، وذكروا أنّ النبي محمد (ﷺ) أول ما بعث كان يسمع من يدعوه دون أن يرى شيئاً فيمضي ، فأمضى بذلك إلـــى زوجته خديجة، وقال : خشيت أن يكون قد عرض لي أمر ، فقالت : وما ذاك ، قال : إذا خلوت دعيت فأسمع صوتاً ولا أرى شيئاً ((فقد خشيت)) قالت : ((ما كان الله ليفعل بك سوءاً أنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتؤدي الأمانة)) ثم إنطلقت به إلى ورقة بن نوفل فقص عليه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ما سمعه، فطمأنه ورقة ونصحه بأن يثبت للصوت حتى يسمع ما يقال له، وبشر خديجة بنبوته، وتابع النبي محمد (صلـــى الله عليه واله وسلم) خروجه للخلوة والإنفراد بنفسه بعيداً عن قومه، وذكر ابن إسحق أنه كـــان إذا خرج للخلوة أبعد حتى تحسر عنه البيوت، ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها وكان يحاور في غار حراء شهراً فيخلوا فيه الأيام والليالي يتحنث فيه علـــى عادة الحنفية [٧٩]، ويطعم من يقدم عليه من المساكين ، فإذا قضى جواره بعد شهراً إنصرف إلى الكعبة، يطوف بها سبعاً، ثم يعود إلى داره [٨٠]، وما زال كذلك حتى نزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة في شهر ربيع الأول، وقيل في ١٧ رمضان ففي هذا الشهر خرج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى حراء ، كما كـــان يخرج لجواره، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل (عليه السلام) ، فعرض له ليلة السبت وليلة الأحد، ثم أتاه بالرسالة يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضـــان [٨١] فقال فقرأها النبي محمد (ﷺ): ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ●خلق الإنسان من علق ●اقرأ وربك الأكرم ●الذي علم بالقلم ●علم الإنسان مالم يعلم﴾ [٨٢]، ثم فتر الوحي عن النبي فترة حتى شق عليه ذلك ، فأحزنـــه حزناً شديداً، وبينما كان يسير يوماً إذ سمع صوتاً فرفع رأسه إلى مصدره، فإذا جبريل (عليه السـلام)بين السماء والأرض، فخشى منه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) رهبة، ودخله منـــه روع، وأسرع إلى داره يرتجف وأتى خديجة وطلب منها أن تدثره [٨٣]، فنزلت عليه سورة المدثر:

﴿يا أيها المدثر●قم فأنذر ●وربك فكبر ●وثيابك فطهر﴾[٨٤]، فبادر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بالدعوة إلى الإسلام وترك عبادة الأوثان والأصنام وبدأ بأقرب الأقربين إليه، ثم دعا قومه مستخفياً ثلاث سنين [٨٥]، جهر بالدعوة بعدها، وإستجاب لدعوته أحداث من الرجال وضعفاء من الناس وأول من آمن بنبوته ورسالته وأسلم زوجته السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ثم إختلف كتاب السيرة في ثلاثة نفر أيهم سبق في إعتناق الإسلام، علي بن أبي طالب، وأبو بكر عبد الله بن أبي قحافة القرشي، وزيد بن حارثة مولى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، والمتفق عليه أن أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى، ومن الغلمان علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما جميعاً) وكان يومئذ ابن عشر سنين من مبعثه، ثم جهر بالدعوة حينما أمره الله تعالى بإظهار دينه [٨٦]، في قوله تعالى:

﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ●إنا كفيناك المستهزئين﴾[٨٧]، وقال تعالى:

﴿وأنذر عشيرتك ىلأقربين ●واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ●فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون● وتوكل على العزيز الرحيم ●الذي يراك حين تقوم ● وتقلبك في الساجدين ●إنه هو السميع العليم﴾[٨٨].

وذكر ابن سعد (٨٩) أنه لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين)صعد رسول الله (صلى الله عليه والـــــــه وسلم) على الصفا فنادى قومه فأقبلوا عليه وسألوه عن طلبه قال : ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً خلف سفح هذا الجبل، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط . قال لهم ما قاله ربنا سبحانه: (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(٩٠)، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة حتـــــى الأفخاذ من قريش، إن الله أمرني أن (وأنذر عشيرتك الأقربين) وأني لا أملك لكم من الدنيـــــــا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فقال أبو لهب: تباً لك ، سائـــر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فأنـزل الله عز وجل فيه قوله تعالى **: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ﴾** (٩١) .

لقد كانت آيات القرآن الكريم تنزل على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لتجيب عن تساؤل أو لتحل مشكلة أو لتنشئ قاعدة جديدة ، وكما هو واضح من أسلوب معالجات الآيات القرآنية لتلك الأمور وطريقة خطابها للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (٩٢)، وبهذا نجد أنّ الخطاب القرآني قد واكب الدعوة الإسلامية ونحوها منذ نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حتى وفاته (صلى الله عليه واله وسلم) وهكذا يتبين للقارئ والمتتبع سير الدعوة الإسلامية وتطورها من أصحـــاب الشأن، أنّ القرآن الكريم كان هو المرآة الصادقة والمعبرة التي تعكس تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها خلال مدة عصر الرسالة.

المبحث الثاني

الهجرة إلى الحبشة

لما رأى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء وأنّه لا يقدر على أن يحميهم ويمنعهم مما هو فيه، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلـــم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، وقد ذكر ابن إسحاق أنّ الدافع المباشر لهجرة المسلمين إلى الحبشة هو الاضطهاد الشديد الذي تعرضوا له على يد المشركين وخوف رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عليهم من أن يفتنوا في دينهم أي بمعنى أن يكرهوا على الردة عن الإسلام ، وكان هذا السبب باتفـــاق جميع الروايات التي أوردتها المصادر التاريخية [٩٣] والآيات القرآنية التي تقطع وتجزم بأنّ الاضطهـــاد والفتنة في الدين كانت هي العامل الأساسي في هجرة المسلمين إلى الحبشة كما جاء في قوله تعالى:

﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾(٩٤)، وفـــي قولـــــه تعالـــى:

﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾(٩٥)، وفي قوله سبحانه وتعالى:

﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون●الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾(٩٦)، فكانت أول هجرة في الإسلام (٩٧)، وكان في مقدمـــة المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأبو حذيفـة وزوجتـــــــه، والزبير بن

العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، حتى اجتمع في أرض الحبشة من أصحابه (صلى الله عليه واله وسلم) بضعة وثمانون رجلاً (٩٨)، فلما رأت قريش ذلك أرسلت وفداً إلى النجاشي، ويذكر ابن اسحاق جانباً مما دار بين وفد قريش وبين النجاشي، فأخبر الوفد النجاشي بقوله ((أن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه وقد لجأوا إلى بلادك فبعثنا إليك فيهم عشائرهم، آبائهم وأعمامهم، وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلم بهم عيناً)) (٩٩)، وكان وفد قريش يتكون من عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وآخرين ولم يكونوا قد أسلموا بعد، وجاؤوا بهدايا مختلفة وكثيرة إليه وإلى حاشيته وبطارقته، وطلبوا منه أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم مرة أخرى إليهم، إلا أن النجاشي لم يقتنع بكلام الوفد حتى يكلم المهاجرين في شأن دينهم الجديد هذا، فجيء بهم إليه ورسولا قريش عنده، فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملوك، فكان أبو جعفر بن أبي طالب على رأس المتكلمين فقال أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، نقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعدالته وعفافه، وقد دعانا إلى الله سبحانه وتعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث واداء الأمانة، وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش فصدقناه وأمنا به، وأتبعناه على ما جاء به من الله فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لانظلم عندك وأوضح له تعاليم الاسلام، وطلب النجاشي أن يتلو عليه شيئا مما جاءهم به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من عند الله، فقرأ عليه جعفر من سورة مريم، فتأثر النجاشي كثيرا مما سمع حتى أخضلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى (عليه السلام)، انطلقوا راشدين لا والله لا رادهم عليكم)(١٠٠) ثم عاد وفد قريش إلى النجاشي وقالوا أيها الملك: انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، ثم ردا إليهما هداياهم التي جاءوا بها، وزاد تمسكه بالمسلمين الذين استجاروا به، وعاد الرسل الى قريش خائبين، وبعد مدة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا ودنوا من مكة، وتبين أن ما سمعوه عن إسلام أهل مكة باطل فلم يدخل أحد منهم إلا بجوا، أو مستخفياً وكان عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وكان من بين من دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل بجوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة دخل بجوار أبي طالب (١٠١)، ويضيف إبن سعد أنه لما قدم أصحاب النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مكة من الهجرة الأولى أشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديد، فأذن لهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكان خروجهم الثاني وكان أعظم مشقة، ولقوا من قريش تعنيفاً شديد ونالوا بالأذى، وكان من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً، ومن النساء احدى عشرة امرأة قريشية وسبعة غرائب فأقام المهاجرين بأرض الحبشة بأحسن جوار (١٠٢).

ويبدو أن الهجرة إلى الحبشة لم تكن هجرتين منفصلتين كما يذكر إبن سعد، وإنما هي هجرة واحدة تمت بشكل تدريجي، وكان المهاجرون يغادرون مكة على هيئة مجاميع صغيرة خلال مراحل استغرق عدة سنوات (١٠٣) هذا ما بينه ابن إسحاق حين قدم قائمة بأسماء المهاجرين الأولين لم يذكر أنهم جميع من هاجروا، وإنما قال: أنهم ممن هاجروا (١٠٤)، كما أنه روي عن أم سلمة في وصف الهجرة إلى الحبشة قالت: ((فخرجنا إليها إرسالاً حتى اجتمعنا بها)) (١٠٥) ويبدو أن زعماء قريش كانوا يتخوفون من العواقب السياسية والاقتصادية لهجرة المسلمين إلى الحبشة وتأثير ذلك على الصراع بينهم وبين المسلمين في مكة (١٠٦)، فقد أورد ابن سعد رواية تنص على أنه ((لما بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر بن أبي طالب وأصحابه وإكرامه إياهم، كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم)) (١٠٧) وقد تناولنا ذلك في ثنايا البحث.

ويبدو أنّ الموقف الإيجابي للنجاشي وإحتضانه مهاجري قريش من المسلمين على أرضه ، وعدم تسليمهم إلى أعدائهم ، قد جعل الكثير يستوضح حول موقف الملك النجاشي ومدى قناعته بالدعوة

الإسلامية التي جاء بها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والتي إستوضح تعاليمها من المهاجريـــن وقرأت آيات القرآن الكريم على مسامعه والتي تأثر بها كثيراً عند سماعها. كل ما تقدم دفعنا إلى أن نذهب إلى الروايات التي تقول أنه قد أسلم وأخفى إسلامه عن قومـــــه، وأصبح الأمر أكثر يقيناً، حينما توفى وبلغ الأمر إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فـــي الســنة التاسعة للهجرة قام بالصلاة عليه (١٠٨)، وكذلك من آثار المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، قيامهـــم بتعريف الأحباش بالدعوة الإسلامية وهي محاولات محدودة، فقد ذكر ابن إسحاق أنه ((قدم على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة، فوجده في المسجد، فجلسوا إليه، فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسائلتهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عما أرادوا، دعاهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به صدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره)) (١٠٩).

المبحث الثالث

الحصار وعام الحزن

توصلت قريش إلى إتخاذ أسلوب المقاطعة والحصار وسيلة لردع المسلمين والوقـوف ضد الدعوة الإسلامية، فقرروا مقاطعة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومن معه ومن وقف خلفه وحماه مـن بني هاشم وبني المطلب (١١٠) الذين رفضوا تسليم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لشيـــوخ قريش؛ ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة، إذ بدأ الحصار ليلة هلال المحرم من سنة سبع للنبوة (١١١)، وكانت هذه المقاطعة إجتماعياً وإقتصادياً باتفاق جميع العشائر المكية، وقد إنحاز بنوا هاشم وبـــنوا المطلب والمسلمون في مكة إلى شعب أبي طالب، ودام الحصار بين السنتين والثلاث سنين حسب أغـلب الروايات ولم ينتهي إلا في حدود السنة العاشرة للبعثة، وقد قطع المشركون الميرة عن المسلمين خـــلال هذه المدة الطويلة حتى بلغ الجهد بهم وتفشت الأمراض وسمع أصوات صبيانهم مـــن وراء الشعـــــب يتضورون جوعا وتذكر المصادر التاريخية أن فترة المقاطعة كانت فترة شديدة على بني هاشم وبنـــــي المطلب، وحاولت قريش قطع جميع المنافذ التجارية، ومنع وصول المساعدات إليهم، ومن أجل التخلي عن حماية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) (١١٢)، ويقول عروة بن الزبير: ((فلبثوا في شعبهم ثلاث سنين وإشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عليهم الأسواق، فلا يتركون طعاماً يدنوا من مكة، ولا بيعاً إلا بادروا إليه ليقتلهم الجوع، يريدون أن يتناولوا بذلك سفك دم رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم-))(١١٣)، ويشير إبن إسحاق إلى ((أن قريشاً قطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحداً من النـــــاس من يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم ، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهـــم إلى الأسواق يشترونها ويغلونها عليهم.

ونادى منادى الوليد بن المغيرة في قريش، أيمـــا رجل وجدتمـوه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه ... ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد(١١٤)، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش ، أيما رجل وجدتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه ، ومن لم يكن عنده نقد فليشتري وعلي النقد(١١٥)، وكان المشركون إذا قدمت العير مكة ويأتي أحد المسلمين إلـــــى السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله ، يقول أبو لهب عدو الله، يا معشر التجار غالوا علـــــى أصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حتى لا يدركوا معكم شيئاً فقد علمتم مالي ووفائي فأنا ضامـــــن أن لا خسارة عليكم، فيزيدون عليهم في السعر قيمتها أضعافاً؛ حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون جوعـــاً وليس في يديه شيء يطعمهم به (١١٦) .

يبدو أن قوة المقاطعة وشدتها قد أثرت كثيراً ببني هاشم وبنـــــي المطلب، وجعلت ما لديهم من مؤمن ينفذ، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد جعت حتى إنـــي وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته ما أدري ما هو إلى الآن(١١٧)، وكانت آثـــار الحاجة والجوع تظهر عليهم، فقد حاول أبو طالب أن يجد بعض المنافذ لمقاومة آثار المقاطعة والحصار الاقتصادي فقد ذكر أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ((كان يخرج ليلاً من الشعب، ويخفي نفسه ويضائل شخصه حتى يأتي إلى من بعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عدي وغيره فيحمل لبني هاشم على ظهره أعداد الدقيق والقمح، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره لو ظفروا به لأراقوا دمه)) (١١٨).

إستغل بنو هاشم وبنو المطلب حرية الحركة خلال الأشهر الحرم التي عمدوا فيها الإتصال بأبناء القبائل العربية الذين يأتون إلى مكة في موسم الحج لغرض المتاجرة معهم، وكان زعماء قريش المشركين في مكة يراقبونهم ويحاولون الدخول معهم في مضاربات من أجل منع عقد أية صفقة تجارية لصالح المسلمين المحاصرين(١١٩)، ويبدو أنّ هذا الوضع لم يكن موضع إرتياح وسبب قلق وإنقسام بين مشركي مكة (فمنهم من سره هذا الإجراء ومنهم من ساء منه)(١٢٠)، ويؤكد إبن سعد ذلك ويقول : (بل إن عامة قريش كرهوا ما أصاب بني هاشم من البلاء) (١٢١) ، وقال إبن اسحاق فلا عجب أن حاول بعض رجالات قريش ممن تربطهم صلات القربى أو المصاهرة أو المودة ببعض بني هاشم والمطلب تقديم العون والمساعدة لهم، على الرغم من معارضة زعماء المقاطعة، وكان من إشتهر في مساعدة المحاصرين حكيم بن حزام ابن أخ خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وكان يوماً يحمل طعاماً لها، ولقيه أبو جهل ، فقال تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد، تمنعه أن يرسل الطعام إلى عمته فأبى أبو جهل أن يوصل الطعام ، فقام إليه البختري بساق البعير فشجه ووطأه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريباً يرى ذلك، وكان المشركون لا يريدون أن يبلغ الخبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه فيشمتوا بهم(١٢٢).

وتفيد المصادر التاريخية أنّ هشام بن عمرو بن ربيعة من أبرز شخصيات مكة الذين لم يرضوا المقاطعة وإجراءات الصحيفة، وكان مواصلاً لبني هاشم، وكان ذا شرفاً في قومه، فكان يأتي بالبعير ويحمله طعاماً ويقوده ليلاً إلى قسم الشعاب الذي به المحاصرون، ثم يخلع من خطامة من رأسه ويضربه على جنبه فيدل الشعب فيتسلمه المحاصرون ويكرر العملية بين فترة وأخرى (١٢٣)، وهكذا عاش بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين ثلاث سنين كانت من أشد الأزمنة عليهم، وحينما رفع الحصار وخرجوا من الشعب كان منهم من هذه المرض وبصورة خاصة كبار السن وعلى رأسهم عم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أبو طالب وزوجته خديجة (رضي الله عنها)(١٢٤)، وقد ذكر ابن إسحاق أنّه حينما تقرر نقض الصحيفة، قام المطعم بن عدي : ((إلى الصحيفة فشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا اسمك اللهم))(١٢٥) ، بينما ذكر عروة بن الزبير، وكذلك موسى بن عقبة أن الصحيفة كانت معلقة في سقف الكعبة، وكان فيها عهد الله وميثاقه، فلم تترك شيئاً إلا لحسته وبقي فيها ما كان من شرك أو ظلم أو بغى (١٢٦) .

وبعد أن انقضت الصحيفة التي كتبها قريش لمحاصرة المسلمين ومقاطعتهم عاد المسلمون إلى دورهم وأعمالهم الاعتيادية (١٢٧)، وعاد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) للتبشير برسالته معتمداً على حماية عمه أبي طالب ومن ورائه بني هاشم وبني المطلب، إلاّ أنّ آثار الحصار كانت شديدة على بيت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقد أنهكت شدة الحصار صحة عمه أبي طالب وزوجته خديجة (رضي الله عنها)(١٢٨)، وأوشكت السنة العاشرة من نزول الرسالة على الانتهاء وفيها مات أبو طالب ، وكان ذلك بعد ثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً من خروج المسلمين من شعبهم أثر محاصرتهم من قبل قريش(١٢٩) .

هكذا إنتهت حياة الشيخ الذي بسط حمايته على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) منذ مناداته بالإسلام في نهاية السنة الثالثة من نزول الرسالة وحتى أواخر السنة العاشرة من نزولها، وقد روى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنّه قال : (ما زالت قريش كابحة عني حتى مات عمي)(١٣٠)، وبعد وفاة شيخ بني هاشم ازداد ضعفهم وضعف بني عبد المطلب وتأخر ركبهم عن زعامة قريش كثيراً إلى درجة لم يتمكنوا من حماية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من أذى قريش الذي اشتد عليه بعد وفاة أبي طالب فقد أصيب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بموت عمه، وكانت زوجته خديجة قد أنهكها المرض الذي أصابها من جراء الحصار الذي فرض على المسلمين فتدهورت صحتها وحل بها السقم فأخذت تعاني من ذلك حتى توفيت بنفس السنة التي توفي بها عمه أبو طالب، وقيل أنها توفيت بعد ثلاثة أيام من وفاته، وقال محمد بن سعد : كان بينهما شهر وخمسة أيام(١٣١) .

وكانت خديجة (رضي الله عنها) المسلم الأول بعد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في تاريخ الإسلام وهي التي وقفت معه وأخرجته من محنة نزول الرسالة عليه، وآمنت به وصدقته، ووقفت معه في ثباته على الإيمان برسالته وما تعرض له من آلام نفسية؛ بسبب خوفه من تعرض الجن له، وما زالت به حتى جعلته يعتقد يقيناً أن الذي جاءه ليس من عمل الشيطان، بل هو حقيقة الرسالة التي كان يتحدث بها أهل الحجاز في ذلك الوقت ، وكانت (رضي الله عنها) ملجأ الراحة الذي يأوي إليه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كلما

كان يتعرض له من تكذيب قريش وآذاهم له، فكانت تطيب خاطره ويجد الراحة والاطمئنان، وتطرد اليأس عن نفسه وتشجعه على الإستمرار بالتمسك بما جاءه من الحق، وهي التي وضعت مالها كله تحت تصرف رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لخدمة الإســـلام والمسلمين(١٣٢)، وبموت خديجة وأبي طالب اشتد الأمر على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حتى سمـي ذلك العام (بعـــام الحـزن)(١٣٣).

الفصل الثالث

دعوته لأهل الطائف عليه الصلاة والسلام وبيعة العقبة والهجرة الكبرى

المبحث الأول

الطائف ترفض الدعوة

إشتد إيذاء قريش للنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) خرج في ٢٧ شوال السنة العاشرة للنبوة وحده للطائف(١٣٤)، ويشـــير ابن إسحاق أنّ الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) توجه إلى الطائف وحده(١٣٥)، بينمـــا يذكر ابن سعد أنّ الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كان قد (خرج إلى الطـــــائف ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشرة للهجرة)(١٣٦)، وقد يكون ما ذكره ابن سعد هو الأقرب للصواب؛ لأنّ السفر في تلك الحقبة الزمنية يتطلب ألا ينفرد الرسول محمد (صلى الله عليه والـــــه وسلم) وحده بالسفر نتيجة مخاطر الطريق ومشاقه وكثرة أعدائه، وكانت مدينة الطائف هي أقرب المدن إلى مكة وتقع على مسافة ستين ميلاً عن مكة تتميز أرضها بوفرة المياه وكثرة البساتين .

فضلاً عن الروابط الوثيقة التي تربط أهل الطـــــائف بأهل مكة من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية(١٣٧)، وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف والمنعه بهم من قومه، وجلس إلى طائفة من أهلها وسادتها وأشرافها ودعاهم إلى الإسلام، ويشير ابن إسحـاق أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عمد حين وصل إلى الطائف إلى محادثة ثلاثة أخوة، وهم عبد ياليـــــل وأخويه، وكانوا يومئذ من سادة ثقيف وأشرافهم(١٣٨)، وكان هؤلاء ينتمون لقبيلة عمر بن عمير المنتمية للأحلاف من أنصار قريش، وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يرغب بضمهم إليه وتحريرهم من سيطرة مخزوم، إلا أنّ هؤلاء لم يجيبوه إلى ما أراد، وأخذوا يتهكمون عليه وأغروا بهـــم سفاءهم وعبيدهم يسبون ويصيحون به حتى إجتمع عليه القوم(١٣٩)، وذكر موسى بن عقبة أنّ أهل الطائف قعدوا له صفين على طريق، فلما مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رموها بالحجارة حتى أدموها، وحـاول زيد بن حارثة أن يقيه بنفسه حتى أشج رأسه شجاج(١٤٠)، وألجأ أهل الطائف إلى حائط بستان يعود لعتبة وشيبة إبني ربيعة وهما فيه، ثم رجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل كومة فجلس فيه، ثم عاد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من الطائف إلى مكة محزوناً لم يستجب لـــه رجل واحد(١٤١) .

وقد ذكر إبن إسحاق عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) دعاءً يعبر عن مقدار الألـــــم والتأثر النفسي الذي أحس به؛ نتيجة سوء استقبال ومعاملة أهل الطائف له، فقال (صلى الله عليه واله وسلم) وهو يشكو لربه : (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علـــي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصـــلح أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حـول ولا قوة إلا بك)(١٤٢)، لقد شعر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بخيبة الأمل في أهل الطائف بعدم مؤازرتـه ومناصرته في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى مما جعله يتعرض إلى مزيد من الأذى الاضطهـــــاد بعد عودته إلى مكة، واعتبرت عشيرته عودته هذه من الأمور المحفوفة بالمخاطر عليه؛ لذلك أخذ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يستثمر الأشهر الحرم التي يقصد بها أبناء القبائل العربية في مكـــــة لغرض المتاجرة في الأسواق التجارية وأداء موسم الحج، فيعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلـــــى الله سبحانه وتعالى، ويخبرهم أنّه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه بـــــه الله سبحانه وتعالى(١٤٣) .

وقد أوردت المصادر التاريخية أنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قد عرض نفسه على عدد من قبائل العرب التي كانت مواطنها بعيدة عن مكة، مثل قبيلة كندة، وقبيلة كلب، وقبيلة بني حنيفـــــــة، وبني عامر بن صعصعة أثناء زيارة رجالها إلى مكة إلا أنّه لم يحصل منهم على إجابات مشجعة، وربما كان ذلك لسبب تكذيب قومه له وتحذيرهم لأبناء هذه القبائل منه(١٤٤)، ورغم كل المصاعب والتحديات التي واجهت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والمغريات التي قدمت له على أن يترك هذا الديـــن إلا أنّ موقفه تمثل في الثبات على العقيدة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ونشر قيم الإسلام العظيم، واستمـــرت جهوده (صلى الله عليه واله وسلم) في البحث عن موطن آمن للدعوة خارج مكة .

المبحث الثاني

بيعة العقبة

لقد كانت بيعة العقبة الأولى بمثابة خطوة متقدمة على طريق الألتزام أهل المدينة بقضـــية الإسلام، وعزمهم على تسليم قيادتهم للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خاصـــة بعد أن إستجـــاب الكثير من أهل المدينة للدعوة الإسلامية، وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يعرض نفسه على قبائل العرب ولا يسألهم إلا إيوائـــه ومنعته حتى يبلغ رسالة ربه، وحتى يقضي الله له ولمن صحبه بما شاء، لم تقبل أي قبيلة أن تنصـــره، ولم ييأس رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من إباء القبائل عليه، فكان يواصل اتصالاته بإشـــراف العرب، فكان لا يسمع بقادم إلى مكة من سادات العرب وأشرافها حاجا أو معتمراً إلا دعاه إلى الإسلام، فلما قدم سويد بن الصامت معتمراً إلى مكة دعاه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الإســـلام ، وأسمعه شيئاً من القرآن ، فأبدى سويد استحسانه لما سمع وانصرف إلى قومه بالمدينة ، فلم يلبث أن قتله الخزرج قبل يوم بعاث ، وذكروا أنه مات وهو مسلم (١٤٥) ثم سمع النبي (صلى الله عليه واـلـه وسلم) أنّ أبا الحيسر أنس بن رافع قدم إلى مكة حاجاً أو معتمراً ومعه فتية من بني الأشهل الأوسيين، من بينهـم إياس بن معاذ يلتمسون من قريش الحلف على قومه من الخزرج، أقبل عليهم ودعاهم إلـــــى عبادة الله سبحانه وتعالى، وذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فخفق قلب إياس بن معـــاذ عند سماعه لآي من الذكر الحكيم، ولم يمنع نفسه من إبداء تأثره بما سمع، فقال : أي قوم هذا، والله خير مما جئتم له، فعارضه أنس بن رافع وعنفه على ترك الغرض الرئيسي الذي قدموا إلى مكة من أجله(١٤٦)، ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في الموسم الذي لقيه فيه جماعة الأنصار فـــي العام السابق، فعرض نفسه على قبائل العرب مثلما كان يفعل في كل موسم، فبينما كان عند العقبة إلتقـــــى برهط يتألف من ستة شيوخ من الخزرج المقيمين بيثرب، وكان الأوس قد غلبوهم في يوم بعاث، فدعاهم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الإسلام، وتلا عليهم آيات قرآنية، وكان يهود يثرب قد تنبأوا بقرب ظهور نبي يتبعونه وتوعدوهم به، فلما خاطب النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) هؤلاء النفر دعاهم إلى دينه وتلا عليهم آيات من القرآن الكـــريم، أدركوا أنّه النبي الذي توعدهم به اليهود فصدقوه.

وأسلموا على يديه، وعزموا على أن يحدثوا قومهم في شأنه ويدعوهم إلى الإسلام(١٤٧)، فلما أقبلوا على قومهم بيثرب ذكروا لهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، ودعوهم إلـــــــــى الإسلام وأجابوهم إليه، حتى فشى فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)(١٤٨)، وفي العام التالي أي العام الثاني عشر من النبوة قدم إلى موسم الحج من الأنصـــــار عشر من الخزرج وإثنان من الأوس من بينهم أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ومعاذ بن الحارث، ورافع بن مالك، وكانوا قد أسلموا في العام السابق، ثم ذكوان بن قيس الزرقي، وعبادة بن الصامـــت(١٤٩)، وشهد هؤلاء الرجال موسم الحج، ثم عزموا على الإجتماع برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فلقوه بالعقبة وهي مكان بين منى ومكة، أي : نحو ميلين(١٥٠)، فبايعوه عندها وقد سميت بالعقبة الأولـــى، وفيها عاهدهم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) على ألاّ يشركوا بالله شيئاً، وأن يتجنبوا السرقـــة والزنا وقتل الأولاد، وألا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في معروف(١٥١)، كما أطلق على هذه البيعة ببيعة النساء(١٥٢)؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه والـــه وسلم) بايع على نفس المبادئ نساء قريش حين أسلمن بعد فتح مكة(١٥٣)، وقد أشار القرآن الكريم في سورة الممتحنة إلى هذه البيعة والمبادئ التي تضمنتها بقوله تعالى:

﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولايزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور

رحيم﴾(١٥٤)، وقبـــل أن ينصرفوا عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأـــمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفهمهم في الدين، وعلى يدي مصعب وأسعد بن زرارة تم إسلام عدد كبير من أهل يثرب من بني الأشهل الأوسيين، نذكر منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضر، اللذان كان لإسلامهما دور كبير فـــي انتشار الإسلام بيثرب(١٥٥).

ولما كان موسم الحج التالي، أي: في عام ثلاثة عشر من البعثة النبوية، قدم إلـــــى مكة لفيف من الانصار المسلمين مع حجاج قومهم من الوثنيين، فإتفق الأنصار على مقابلة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بعد أن يفرغوا من إداء مناسك الحج وأمرهم أن يلتزموا السرية التامة حيت التوجـــه إليه فلا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً(١٥٦)، فواعدهم على الاجتماع بهم في الشعب عند أسفل العقبة بمنى، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان في قول ابن إسحاق، وسبعون رجلاً وامرأة واحدة في قول عروة بن الزبير(١٥٧)، وأقاموا في ذلك الموضع ينتظرون إقبال النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقدم إليهم ، وتـــلا عليهم آيات من القرآن الكريم ودعاهم إلى الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعـــون منه نساءكم وأبناءكم فوافقوه على ذلك فأخذ البراء بن معرور من الخزرج بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً لمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعناك يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناهـــا كابراً عن كابر ، فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان من الأوس بقوله : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبـــالاً وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعـــــنا ؟ فتبسم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم قال : بل الدم الدم والهدم والهدم ، أنـــــــا منكم وأنتم منـــــي أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم (١٥٨) ثم اتفق معهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على أن يختاروا منهم اثني عشر نقيباً يمثلون قومهم ، فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثـــة مـــن الأوس (١٥٩) وذلك لأن عدد الخزرج بين الأنصار كان أكبر بكثير من عدد الأوس الذين لم يزيدوا عن أحد عشـــر شخصاً من مجموع الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ببيعة العقبة الثانية ، ثم تفرقوا إلى رحالهم ، وعادوا إلى يثرب فأظهروا الإسلام فيها، كما عرفت هذه البيعة ببيعـــة الحرب(١٦٠)؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بايعهم في هذه البيعة على حرب الأسود والأحمر ووعدهم بالجنة التـــي وعد بها الله المؤمنين في قوله تعالى:

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾(١٦١)، وقد حددت بيعة العقبة الثانية وضع النبي محمد (ﷺ) بين أهل يثرب فقد اعتبرته واحداً منهم، دمه كدمهم وحكمه كحكمهم وقضت أيضاً بخروج النبـــي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من أهل مكة فانتقلت بيعة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لذلك من مكة إلى يثرب، ولهذا السبب حرص المسلمون على اخفاء أمر هذه البيعة والتكتم عليها من قريش، لأن مشركوا مكة وصلتهم بعض الأخبار عن اجتماع العقبة الثانية التي تضمنت تعهداً من الأنصار بحمـــاية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حينما يصل إلى مدينتهم والدفاع عنه، كما يدافعون عن أنفسهم، في مقابل ذلك عد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) نفسه واحداً منهم، يتضامن معهم في جميـــع الأحوال، وقد توجه بعض رجال المشركين إليهم ، فقالوا لهم : (أنّه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنـــا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أتنشب الحرب بيننا وبينهم منكم) (١٦٢)، وقد رد بعض مشركي المدينة عن هذا الأمر وتكذيب الخبر ويروى أن عبد الله بن أبي سلول وهو أحد زعماء الخزرج قال لهم : (إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفرقوا علي بمثل هذا وما علمته كان)(١٦٣)، وقد ازداد إستياء مشركي مكة من موقف أهل المدينة حينمـــا تبين لهم خبر مبايعتهم لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والهجرة إلى مدينتهم(١٦٤).

وحاولوا تعقيب أثر المسلمين بعد مغادرتهم مكة، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك سوى إلقاء القبض على سعد بن عبادة أحد النقباء من قبيلة الخزرج وجاءوا به إلى مكة وهو يتعرضون له بالضرب، ولم يستطع الخلاص منهم إلا بعد أن ذكرهم بإجارته لتجارهم الذين يمرون بالمدينة، فأطلقوا سراحه(١٦٥)، لقد كانت شروط البيعة الثانية بداية لأسلوب جديد يسمح باستخدام القوة واللجوء إلى الحرب في مجـــاهدة الأعداء، وتشير المصادر التاريخية أنّ عبادة بن الصامت وهو أحد النقباء قال : (بايعنا رسول الله (صلـــى الله عليه واله وسلم) بيعة الحرب ، وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى علـــــــى بيعة النساء على السمع والطاعة،

في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأثره علينا، وأن لا ننـــازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)(١٦٦).

ويبدو أن هذه البيعة قد مكنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فـــي تعزيز مركزه بصفته رسـولاً وقائداً له حق السمع والطاعة على أتباعه كافة، مما جعل خطر المشركين يزداد في تشديد الخناق علـــى المؤمنين، ويذكر الطبري في رواية أن عروة بن الزبير أنه حين بايع الأنصار رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بيعة العقبة الثانية اشتد إيذاء قريش على المؤمنين من أهل مكة فأمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أصحابه بالهجرة إلـــى المدينة لتفادي خطـــر المشركين عليهم والاطمئنان علـــــى وصولهـــم واستقرارهم فيها قبل أن يهاجر هو بنفسه(١٦٧)، كما جـــاء فـــــي قولـــه تعالى:

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (١٦٨) .

المبحث الثالث

الهجرة الكبرى

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية مع أهل المدينة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية عشر للبعثـة، شجع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أصحابه المكيين بالهجرة إلى المدينة، يقول إبن إسحاق أنّه حين أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها قال : (إنّ الله عـــز وجل جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها)(١٦٩)، فخرجوا إرسالاً أي جماعة إثر جماعة بهدوء وسرية تامة كي لا يثيروا حفيظة قريش عليهم وتمنعهم من الهجرة وتضطهدهم؛ لذلك جعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون هجرتهم، بالرغم من الصعوبات التي واجهتهم؛ لأنّ قســـم من الأســـر هاجرت بأكملها مثل بني مظعون وبني جحش بن رئاب البكير، وكانت مكو مدينة صغيرة فـي حينها قد يكتشف أمر الهجرة فيها، فضلاً عن قيام بعض الأسر بمنع أبنائهم من الهجرة واستخدام القوة ضدهم(١٧٠)، ويشير إبن إسحاق أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حينما أراد الهجرة إلى المدينة اتفق مـــع عياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص على أن يلتقوا في وقت ومكان محدد، فأنّ تخلف أحدهم عـــن الموعد فمعنى ذلك أنه قد حبس، فليمضي صاحباه، فلما حان الوقت المتفق عليه، حضـــــر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعياش بن أبي ربيعة وحبس هشام بن العاص وفتن(١٧١)، وكانت قريـــش قد مارست سطوتها على الموالي والمستضعفين لمنعهم من الهجرة.

فقد ذكر إبن هشام أنّ(صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكـــاً حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أنّ تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال صهيب : (أرأيتم إن جعلت لكم مالي ، أتخلون سبيلي ، قالوا : ربح صهيب)(١٧٢)، و؟إستمر ضغط المشركين على المهاجرين مما سبب إنقسام بين أفراد العائلة الواحدة التي تختلف في العقيدة، فقد رفضت زوجات بعض المسلميـــن ممن كن لازلن على الشرك الهجرة إلى المدينة مع أزواجهن، فجاء أمر الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾(١٧٣)، وكانت بعض النساء المؤمنات تركن أزواجهن الكفار وهاجرن إلى المدينة ، كما جاء فـــي قوله :

﴿يا ايها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر ...﴾(١٧٤)، وتشير المصادر التاريخية أن بعض النساء المؤمنات هاجرن إلى المدينة دون موافقة أزواجهم مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأميمة بنت ليث، وقام المسلمون بدفع صداقيهما إلـــــــى زوجيهما الكافرين(١٧٥)، وقد بلغ عدد المهاجرين إلى المدينة سبعين مسلماً، ولم يبقَ في مكة أحد من المسلمين إلا من حبس أو فتن (١٧٦).

وتذكر المصادر أن المسلمين قد تعرضوا إلى مصاعب جمة، فضلاً عن تركهم بيوتهم وممتلكاتهم عند بعض القوم، حافظ قسم منهم عليها، والقسم الآخر لم يحافظ على الأمانة فتصرف بها، ويذكـــر ابن إسحاق ويقول : ((لما خرج ابن جحش بن رئاب من داره ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها))(١٧٧)، وقيام عقيل بن أبي طالب بأخذ البيت الذي ولد الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وبـــاعه بعـــــد هجرته، كما فعل متعب ابن أبي لهب بأخذه بيت خديجة زوجة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وبيعه (١٧٨)، مما دفع الشاعر حسان بن ثابت بمدح من أمسك وحافظ على دور ، وذم بعض من خان الأمانة وباع دور المسلمين المهاجرين من قومهم

(١٧٩)، وبعد أن إطمئن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) علـــى وصول أتباعه إلى المدينة بسلام وإستقرارهم فيها، لم يبقَ معه في مكة سوى علي بن أبي طالب وأبـــي بكر الصديق (رضي الله عنهما) بناءً على طلبه، ومن أفتن أو حبس من قبل المشركين(١٨٠)، ولمـــا رأت قريش أن المهاجرين أصبح لهم مكان يستقروا فيه، وقوم يستعينون بهم، وأن رسول الله (صلى الله عليـه واله وسلم) إذا هاجر إليهم سيشكل خطر يهدد مصالحهم الإقتصادية والسياسية والدينية في مكة، فقرروا الإجتماع في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضـــي أمراً إلا فيهـا؛ كـي يتشاوروا في أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والموقف الذي يجب أن يتخذ، ولـــم يتخلف من أصحاب الرأي أحداً(١٨١)، من زعماء قريش الذين يمثلون عشائر نوفـــل، وعبد شمس، وعبد الدار، وأسد، ومخزوم، وسهم، وكانت هذه العشائر سبق وأن اتخذت موقفاً مناوئاً للعشائر المكية التي ساهمت في حلف الفضول بضمنها عشيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بنو هاشم(١٨٢)، وقد إعترضهم في باب الندوة شيخ جليل الهيئة فأنكروه وسألـــوه، فقال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي أتعدتم عليه فحضر معكم كأحدكم، فنزل قول الله تعالى:

﴿**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون**﴾(١٨٣) .

وقد ذكر إبن إسحاق أنّ زعماء قريش خططوا إلى نفي الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلـــــم) أو حبسه أو قتله، وكان أبو جهل بن هشام قد وضع خطة لقتله وافق الجميع عليها، وقال:(نأخذ مـــن كل قبيلة فتى شاباً جلد نسيباً وسيطاً، ثم نعطي كل منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربـة رجل واحد فيقتلوه)(١٨٤) وبذلك يتفرق دمه بين القبائل، فلا تتمكن قبيلته من مقاومـــــــة جميع القبائل وترضى بالعقل(١٨٥)، فأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بما عزموا عليه من الأمر في قوله تعالـى :

﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾(١٨٦)، وبعد أن جاء الإيحاء من الله سبحانه وتعالى، سارع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلى وضـــــع خطة محكمة بالهجرة إلى المدينة تعتمد السرية التامة من أجل تجنب خطط المشركين ومكرهم(١٨٧)، إذ قام أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بتهيئة راحلتين للسفر ودليل للطريق اسمه عبد الله بن أريقط الليثـــي، فضلاً عن قيامه بوضع خطة مغادرة مكة وتأمين وصول الطعام إليهما(١٨٨)، فقد أخبر الوحي الرســول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بما عزموا عليه المشركون فأمر الرسول (صلى الله عليه والـــه وسلم) الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه؛ كي يظن المشركون أن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في فراشه، وخرج وهو يقرأ آيات من القرآن الكريم ولم يشاهدوه، ثم التقى بصاحبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وخرج خارج مكة.

ويذكر ابن إسحاق أنّ رسول الله (صلى الله عليـــه واله وسلم)، وأبا بكر خرجا بصورة سرية متخفين عن أنظار المشركين(١٨٩)، ودخلا في غار جبل ثور، أما المشركون وعند الصباح رأوا الإمام علي (رضي الله عنه) في فراش النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ولم يجدوه في فراشه، فقد تتبعوا أثره، وأثر صاحبه إلى أنّ وصلوا إلى ذلك الغار(١٩٠)، فأمـــر الله سبحانه وتعالى العنكبوت أن تنسج له على مدخل ذلك الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين، فوقعتا علـــــى مدخل الغار مما صد المشركين عنهما، فلم يتمكنوا من العثور عليهما ورجعوا خائبين، وبقيا رسول الله (صلـى الله عليه واله وسلم) وصاحبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ثلاثة أيام بلياليها، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما وشرابهما ليلاً(١٩١)، وأمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أسماء بنت أبـــي بكر أن تخبر الإمام علي (رضي الله عنه) بموضوعهما، وتهيئة ثلاث من الإبل بعد مضي ساعة من الليلة الآتية وهي الليلة الرابعة وأرسل الإبل مع الدليل وجاء بهن إلى أسفل الجبل ليلاً(١٩٢)، فلما سمع النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) رغاء الإبل نزل هو وصاحبه من الغار وركبوها وساروا إلى المدينة، وقيل أنّ أبا بكر الصديق (رضي الله عنه)، كان أعد راحلتين قبل ذهابهما إلى الغار، ثم جيء بهمـــا مع الدليل متجهين إلى المدينة سالكين طريقاً غير الطريق الاعتيادي المألوف، وكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يسلك الوديان والسهول الساحلية ويعرف الطرق وأهلها من خلال سفراته السابقة إلـــى بلاد الشام(١٩٣)، وكان المشركون قد خصصوا جائزة قدرها مائة ناقة لمن يقتلهما أو يأتي بهما تتبعهم ســـراقة بن مالك بن جشم طمعاً بالجائزة(١٩٤)، فلما قاربهم غاصت فرسه في التراب وتتبعه دخان فلما رأى فرســه غاصت في التراب أيقن أنّه لا سبيل له عليهم فقال لهم أني لكم ناصح وسأبهم أمركم على الذين يطلبونكم، بعد أن دعا له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في إطلاق سراح فرسه (١٩٥).

وتشير المصادر التاريخية أنّ أهل المدينة كانوا يخرجون في كل يوم بعد صلاة الصبح للقائــه وهم فـي إنتظاره بفارغ الصبر بعد سماعهم خروجه من مكة ويرجعوا إلى بيوتهم بعد أن يشتد الحر عليهــم، وقد تصادف وصول الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وقت الظهيرة إلى قباء الضـــــاحية الغربيـة من المدينة، وكان الأنصار قد عادوا إلى دورهم فشاهد أحد اليهود، فجاء إلى أهل المدينة بقوله : يـــا بنـــي قيلة هذا جدكم قد جاء (١٩٦)، وبعد إنتشار الخبر بين المهاجرين والأنصار، فأسرعوا إليه وخرجــوا للقائــه، ثم نزل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند بنو عمرو بن عوف، الاثنـــــي عشرة ليلـة خلت من شهر ربيع الأول في يوم الإثنين من السنة الثالثة للبعثة، أسس خلالها المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء، أول مسجد في الإسلام وفيه نزل قوله تعالى:

(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (١٩٧)، وكـــــان وصول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة بمثابة عيد لكل المسلمين وخرج لإستقبالــه قرابـة خمسمائة من الأنصار معبرين عن فرحهم وسرورهم بمقدمه، وحتى النساء والأطفال عبـــــــروا عن مشاعرهم وحفاوتهم به، وحتى اليهود والمشركين لم تظهر لهم معارضة أو استياء على هجرة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه إلى المدينة (١٩٨)، وتوالت دعوات الأنصار والمهاجرين والصحابة لرسول الله (صلى الله عليه والـه وسلـــــم) في المدينة إلا أنّه ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت ناقته (صلى الله عليه واله وسلم) فـــي مربد للتمر لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار في كنف أسعد بن زرارة يقال لهما سهيــل وسهل، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حين بركت به راحلته (هذا إن شاء الله المنزل)؛ لـيقول للناس أنا رسول الله لجميع المسلمين (صلى الله عليه واله وسلم)، ثم دعا بالغلامين وحاورهما حـــول المربد ليتخذه مسجداً فأبتاعه منهما، ونزل بدار أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب، وأقام سبعة أشهر في تلك الدار حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل إليها (١٩٩).

وتشير المصادر التاريخية أنّ هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) استغرقت ثمانية أيام منذ أن غادر الغار في جبل ثور في ٤ ربيع الأول إلى أن وصلها في ١٢ ربيـــع الأول مـن العـام ١٣ للبعثة الموافق ٢٤ ايلول سنة ٦٢٢م(٢٠٠)، ويبدو أن المدينة كانت أحوج مـــــا يكون لقدوم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لإشاعة روح المحبة والسلام بين أطيافها في إطار التقوى وعبادة الله سبحانه وتعالـــى ونشر قيم الإسلام العظيم، وبهذا كانت الهجرة عملاً كبيراً عظيماً بكل معانيها وبما حملته من تضحيات بالنفس والأهل والمال والموطن في سبيل إعلاء كلمة التوحيد والحفاظ على حريـة الفكـــــر والعقيدة .

الخاتمة

وبعد فهذا البحث عن محمد بن عبد الله (صلى الله عليه واله وسلم) ودعوته ليس ســـــرداً جامداً لتاريخ هذه الدعوة وتاريخ صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام، بل هو صورة حية متدفقة الحيويـة نابضـة بالحركة معبرة ، صادقة ، عميقة ، بليغة، صورت لحياة إنسان أكمل، ونبي أمثل اختـاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه وفضله وأحبه واجتباه وأدبه وعلمه وبعثه رسولاً إلى الناس أجمعين، وجعله هدىً ورحمةً للعالمين.

ومن نتائج هذا البحث يمكن أن نبين الآتي:

أولاً: إنّ الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ولد ونشأ يتيماً من الأب ومن ثم من الأم وكفلــه جده أبو طالب لحبه له ولوالده.

ثانياً: رعاية عمه أبو طالب له صبياً وشاباً ولم يفرط به أبداً وعلمه التجارة والإعتماد علـــى النفس.

ثالثاً: كان في شبابه (صلى الله عليه واله وسلم) مختلفاً عن جميع أقرانه ويمتاز عنهم بأخلاقه ومحبته

رابعاً: إنّ خديجة (رضي الله عنها) هي التي طلبت الزواج بمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقبل، لخلقه وأمانته ومكانته الإجتماعية في العرب.

خامساً: يعد حلف الفضول من الأحلاف التي شهدها الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأقره بنفسه.

سادساً: بدأت البعثة النبوية ولم يؤمن بها إلا القليل، وجهر بدعوته (صلى الله عليه واله وسلم) بأم من الله سبحانه وتعالى ، مما اضطره وأصحابه بالهجرة إلى الحبشة .

سابعاً: لقد كان حصار قريش للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحابه في شعاب أبـــي طالب زاد من قوة المسلمين

ثامناً: لقد كانت وفاة أبي طالب وخديجة أول أحزان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

تاسعاً: الطائف رفضت الدعوة الإسلامية، ومن ثم آمنت بها بعمق وصدق

عاشرا: لقد كانت هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة المنورة أمراً لابد منه لنشر الإسلام بعد أن رفضته مكة.

الهوامش

١. الحميدة ، سالم محمد، سيرة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الفترة المكية ، دار الشؤون الثقافية العامية ، (بغداد: ٢٠٠١)، ص١٢٠.
٢. ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ/٩٤١م)، السيرة النبوية ، راجع اصولها، محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ج١، ص١٥٦.
٣. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ، (٣٢٠هـ/٩٤١م)، الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ١٩٥٨، ج١، ص٩٩.
٤. ابن سعد ، ج١ ، ص١٠٣.
٥. ابن سعد ، ج١ ، ص١٠٠.
٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٨.
٧. ابن الأثير ، أبو الحسن ، علي بن محمد (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت (١٩٧٩م) ، د١، ص٢٧٠.
٨. هيكل ، الدكتور محمد حسين ، حياة محمد ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص١٠٩.
٩. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ١١٠.
١٠. الشافعي ، علي بن برهان الدين الحلبي ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، المعروف بالسيرة الحلبية ، القاهرة (١٩٦٢م) ، ج١، ص٦٧.
١١.إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص١٠٨.
١٢. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٦٠.
١٣. هيكل ، حياة محمد ، ص١١٠.
١٤. جمعة ، محمد لطفي ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٩م)، ص٢٨٥.
١٥. رضا ، محمد ، رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، بيروت ، دار الثقافة (١٩٧٥م)، ص٢٤.
١٦.ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص١٠٨.
١٧. الشافعي ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج١، ص١١٤.
١٨. الشافعي ، ج١ ، ص١٢١.
١٩. جمعة ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، ص٣٩٩.
٢٠. رضا ، رسول الله ، ص٢٩.
٢١. الشافعي ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، ج١ ، ص١٢٣.
٢٢. الشافعي ، ج١ ، ص١٢٥.
٢٣. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٨.
٢٤. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان ، طبع ليدن، ص٨٨.ط
٢٥. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٩.
٢٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٩.
٢٧. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٩٦.
٢٨. ابن إسحاق ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، (١٥١هـ/٧٦٨م) المغازي والسير ، تحقيق محمد حميد الله ، الرباط : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٦ ، ص٥٣.
٢٩. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٨٢.
٣٠. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٥٥.
٣١. الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر(بيروت : ١٩٨٨م)، تاريخ الطبري، ج٢ ، ص٢٧٨.
٣٢. ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، ص٨٨؛ إبن سعد الطبقات ، ج١ ، ص١٢١.
٣٣. جواد علي ، تاريخ العرب في الإسلام ، طبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : ١٩٦٨- ١٩٧٤) ، ص١٠٦.
٣٤. جواد علي ، ص١٠٦.
٣٥. ابن هشام السيرة النبوية ، ق١ ، ص١٨٦-١٨٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ص١٢٨ ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل ، ص٨٨ ـ ٨٩.

٣٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص١٨٦.
٣٧. ابن هشام ، ق١ ، ص١٨٦.
٣٨. المعارف ، ص٨٨.
٣٩. تأريخ ، ج٢، ص٢٨٧.
٤٠. الطبقات ، ج١ ، ص١٢٨.
٤١. مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩٤.
٤٢. السيرة ، ق١ ، ص١٨٤.
٤٣. اسعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٢٨.
٤٤. ابن سعد ، الطبقات ، ج، ص١٢٩.
٤٥. ابن سعد ، ج١ ، ص١٢٩.
٤٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ١٢١.
٤٧. رضا، رسول الله ، ص٣٨.
٤٨. العمري ، الدكتور أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة ، المدينة المنورة (١٩٩٣م) ، ج١ ،ص١٣٠.
٤٩. الطبري ، محمد بن جرير ، (٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، ج١، ص١١٢٨.
٥٠. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، نهاية الإرهاب في فنون الأدب، القاهرة (١٩٥٥م)، ج١٨، ص١٧٠.
٥١. رضا، رسول الله، ص٣٩.
٥٢. رضا، رسول الله، ص٣٨.
٥٣. جمعة، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، ص٤٣٢.
٥٤. رضا، رسول الله، ص٣٩.
٥٥. الشافعي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج١ ، ١٥٤.
٥٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص٩١.
٥٧. الشافعي ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ج١ ، ص١٥٤.
٥٨. الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م) ، أخبار مكة ، تحقيق، رشدي صالح ملحس ، بيروت دار الثقافة (١٩٧٩م) ، ج٢ ، ص٢٥١.
٥٩. الأزرقي ، ج٢ ، ص٢٥١.
٦٠. ابن قتيبة ، المعارف ، ص٨٠.
٦١. ابن إسحاق ، المغازي ، ص٦١ ؛ ابن قتيبة، المعارف ، ص٨٣، ١٩
٦٢. ابن قتيبة ، المعارف ، ص٨٣ ـ ٨٤ .
٦٣. الحميدة، سالم محمد، سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) الفترة المكية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١، ص١١٣.
٦٤. هيكل ، الدكتور محمد حسين ، حياة محمد ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٥٠٩ .
٦٥. جمعة ، محمد لطفي ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص٢٤٠.
٦٦. جمعة ، ص٢٤٠ .
٦٧. القاضي عياض ، أبي الفضل اليحصبي ، (٥٤٤هـ/١١٤٩) ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مصر ١٩٧١ ، ج١ ، ص٨٢ .
٦٨.القاضي عياض ، ج١ ، ص٨٢ .
٦٩. ابن إسحاق ، المغازي ، ص٨٧ .
٧٠. ابن إسحاق ، ص٨٧ .
٧١. هيكل ، حياة محمد ، ص٩٦ .
٧٢. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، (٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٥٨م، ج٢ ، ص٣٩٦.
٧٣. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٧.
٧٤. ابن هشام ، ج١ ، ص٨٧.
٧٥. جمعة ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، ص١٤٥.
٧٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٧ .
٧٧. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٧ .
٧٨. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص١١٤٨ .
٧٩. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٩٤ .
٨٠. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٣٦ .
٨١. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٢٩.
٨٢. سورة العلق ، الآية ١ـ ٥ .
٨٣. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٠٩ .
٨٤. سورة المدثر ، الآية ١ـ ٤ .

٨٥.ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٩٩ .
٨٦. سرور ، محمد جمال الدين ، قيام الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٦٢ .
٨٧. سورة الحجر ، الآية ٩٤ـ ٩٥ .
٨٨. سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ـ ٢٢٠.
٨٩. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٨٤.
٩٠. سورة سبأ ، الآية ٤٦.
٩١. سورة المسد ، الآية ١ .
٩٢. هاشم الملاح ، الوسيط ، ص١٠٨ .
٩٣.اإبن إسحاق ، المغازي ، ص١٩٩ـ ٢٠٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٨ـ٣٢٩.
٩٤. سورة البروج ، الآية ١٠ .
٩٥. سورة النحل ، الآية ١١٠ .
٩٦. سورة النحل ، الآية ٤١ـ ٤٢ .
٩٧. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٣٠ .
٩٨. ابن هشام ، ج١ ، ص٣٣٠ .
٩٩.ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٩٥ .
١٠٠. ابن إسحاق ، ص١٩٦ .
١٠١. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٠٦ .
١٠٢. ابن إسحاق ، المغازي ، ص٢٠٥ـ٢١٠ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٣٢٣ـ ٣٣٠ .
١٠٣. وات ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب شعبان بركات ، منشورات المكتبة المصرية ، ص١٧٩ـ ١٨٣ ؛ العلي ، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٣٢٢ .
١٠٤. ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٥٦ .
١٠٥. ابن إسحاق ، ص١٩٤ـ٢٠٨ .
١٠٦. هاشم ، الوسيط ، ص١٤٦ .
١٠٧. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٠٨ـ ٢٠٩ .
١٠٨. ابن سعد ، ج١ ، ص٢٨٥ـ ٢٥٩ .
١٠٩. ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٩٩ـ٢٠٠ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٣٩١ـ ٣٩٢.
١١٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٠٨.
١١١. ابن سعد ، ج١ ، ص٢٠٩.
١١٢. ابن الزبير ، عروة (ت٩٤هـ/٧١٢م) ، مغازي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، رواية أبي الأسود، صححه وحققه، د. محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، مكتب التربية العربية لدول الخليج (١٩٨٢م) ، ص١١٤ .
١١٣.ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٤٠ .
١١٤. ابن الزبير ، مغازي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، ص١١٤ .
١١٥. ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٤٠.
١١٦. ابن إسحاق ، ص١٤٠.
١١٧. ابن إسحاق ، ص١٤٠.
١١٨. ابن أبي حديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٣٥٤ .
١١٩. ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٤٠ .
١٢٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٠٩ .
١٢١. ابن سعد ، ج١ ، ص٢٠٩ .
١٢٢.ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٤٢ .
١٢٣. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٥١ ؛ ابن إسحاق ، المغازي ، ص١٤٠ـ ١٤١ .
١٢٤. السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ ـ ١١٨٥م) ، ج٣ ، ٢٥٥. ١٢٥. ابن الزبير، مغازي رسول الله ، ص١١٥ ؛ابن عقبة ، مغازي رسول الله ، ص٩٨ـ ٩٩ .
١٢٦. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢١٠ .
١٢٧. ابن سعد ، ج١ ، ص٢١٠ .
١٢٨. النويري ، نهاية الإرهاب في فنون الأدب ، ج١٦ ، ص٢٧٧ .
١٢٩. النويري ، ج١ ، ص٢٧٧ .
١٣٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ٢١١ .
١٣١. النويري ، نهاية الإرهاب في فنون الأدب ، ج١٦ ، ص٢٧٩ .
١٣٢. الحميدة ، سيرة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الفترة المكية ، ص٣١٠ .
١٣٣. الحميدة ، ص٣١١ .
١٣٤. العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٣٣٤ .
١٣٥. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤١٩ .
١٣٦. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢١١ .
١٣٧. العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٣٣٤ـ ٣٣٥ ؛ وات ، محمد في مكة ، ص٢٢٠ ـ ٢٢١ .

١٣٨. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤١٩ .
١٣٩. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٢٠ .
١٤٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢١٢ .
١٤١.ابن سعد ، ص٢١٢ .
١٤٢. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٢٠ .
١٤٣.ابن هشام ، ق١ ، ص٤٢٢ .
١٤٤. ابن إسحاق ، المغازي ، ص٢١٥- ٢١٦ ؛ إبن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٢٣- ٤٢٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٣٢٨- ٣٥٠ .
١٤٥.ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٢٧ .
١٤٦. ابن هشام ، ج١ ، ص٤٢٨ .
١٤٧. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٩ .
١٤٨.ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف (بيروت ١٩٦٦م)، ج٢ ، ص١٧٧ .
١٤٩. ابن كثير، ج٢ ، ص ١٧٨
١٥٠. الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٧٨ .
١٥١. ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٣٤ .
١٥٢. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٣١ .
١٥٣. ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٣٥ ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص٢٧٩ .
١٥٤. سورة الممتحنة ، الآية ١٢ .
١٥٥. ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٨٠ .
١٥٦. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٢١ .
١٥٧. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٠ .
١٥٨. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٤٢ .
١٥٩. ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٩٩ .
١٦٠. ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٤٦ .
١٦١. سورة البقرة ، الآية ٢٥ .
١٦٢. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٤٨ .
١٦٣. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٤٩ .
١٦٤. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٤٩ .
١٦٥. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٤٩- ٤٥٠ .
١٦٦. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٥٤ .
١٦٧. الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٣٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٢٦ .
١٦٨. سورة الأنفال ، الآية ٣٩ .
١٦٩. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٦٨ .
١٧٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٢٦ .
١٧١. ابن سعد ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٩٩ .ط
١٧٢. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٧٧ .
١٧٣. سورة التغابن ، الآية ١٤ .
١٧٤. سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .
١٧٥. العلي ، الدولة في عهد الرسول ، ص٨٣ .
١٧٦. وات ، محمد في مكة ، ص٢٢٦ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٠ .
١٧٧. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٩٩ .
١٧٨. الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص٢٤٥- ٢٤٦ .
١٧٩. بن بكار ، الزبير ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، القاهرة ١٣٨١هـ ، ج١ ، ص١٦٠- ١٦١ .
١٨٠. ابن الزبير ، مغازي رسول الله ، ص١٢٨ .
١٨١. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٠ .
١٨٢. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٨١ ؛ وات ، محمد في مكة ، ص٢٣٦- ٢٣٧ .
١٨٣. سورة الطور ، الآية ٣٠ .
١٨٤. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٢ .
١٨٥. العليلي ، الدكتور موسى بناي ، الهجرة والنصرة في القرآن الكريم ، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ١٩٨٩م) ، ص٤٨ .
١٨٦. سورة الأنفال ، الآية ٣٠ .
١٨٧. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٤- ٤٨٥ .
١٨٨. ابن هشام ، ق١ ، ص٤٨٤- ٤٩٢ .
١٨٩. الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص٢٢٦ .

١٩٠. ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٣٨ .
١٩١. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٤ـ ٤٩٢ .
١٩٢. ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٨٦ .
١٩٣. العلي ، الدولة في عهد الرسول ، ص٧٨ .
١٩٤. ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٨٦ .
١٩٥. ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص٤٩٢ .
١٩٦. ابن هشام ، المصدر نفسه ، ق١ ، ص٤٩٢ .
١٩٧. سورة التوبة ، الآية ١٠٨ .
١٩٨. ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٤٨٧ ، ٤٩١ـ ٤٩٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٢٣٢ـ ٢٣٣ ؛ وات ، محمد في مكة ، ص٢٣٨ .
١٩٩. ابن هشام ، ص٤٨٧ ، ٤٩١ـ ٤٩٢ .
٢٠٠. ابن هشام ، ص٤٨٧ ، ٤٩١ـ ٤٩٢ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين ، (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوه، القاهرة(١٩٥٨م) .
٢. ابن الأثير، أبو الحسن ، علي بن محمد (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت (١٩٧٩م) .
٣. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي ، ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف بيروت (١٩٦٦م).
٤. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ / ١١٨٥م) في تفسير حديث سيرة الرسول محمد(ص).
٥. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو سنة ٢٤٤هـ / ٨٥٨ م) ، أخبار مكة ، تحقيق: رشدي صالح ملحس، بيروت، دار الثقافة (١٩٧٩م) .
٦. إبن اسحاق، أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي، (١٥١هـ / ٧٦٨م) ، المغازي والسير تحقيق : محمد حميد الله، الرباط ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ،(١٩٧٦م) .
٧. ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) ، المعارف ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان(١٩٧١م) .
٨. ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٨هـ / ٨٣٣ م) ، السيرة النبوية ، راجع أصولها : محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م) .
٩. القاضي عياض، أبي الفضل اليحصبي، (٥٤٤هـ / ١١٤٩ م)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مصر(١٩٧١ م).
١٠. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)، فتوح البلدان، طبع ليدن.
١١. العمري، الدكتور أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة (١٩٩٣ م) .
١٢. ابن ابكار، الزبير، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، القاهرة(١٣٨١ م) .
١٣. جواد علي ، تاريخ العرب في الاسلام ، طبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ١٩٦٨ م ـ ١٩٧٤ م).
١٤. الحميدة ، سالم محمد ، سيرة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الفترة المكية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد (٢٠٠١ م).
١٥. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)، نهاية الإرهاب في فنون الأدب، القاهرة (١٩٥٥م).
١٦. العلي، صالح أحمد (١٩١٨ م / ٢٠٠٣ م)، محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعارف، (١٩٥٥) .
١٧. الشافعي ، علي بن برهان الدين الحلبي (١٠٤٤هـ / ١٦٣٥ م) ، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون ، ط٣ ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م) .
١٨. ابن الزبير ، عروة (ت ٩٤هـ / ٧١٢ م) ، مغازي رسول الله (ص) ، رواية أبي الأسود ، صححه وحققه : د. محمد مصطفى الأعظمي ، الرياض ، مكتب التربية العربية لدول الخليج (١٩٨٢ م).
١٩. ابن أبي حديد ، محمد ابراهيم ، شرح نهج البلاغة ، دار الكتاب العربي ، بغداد .
٢٠. الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠هـ / ٩٢٢ م) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكربيروت (١٩٨٨ م) .
٢١. الطبري ، محمد بن جرير ، (٣١٠هـ / ٩٢٢ م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر.
٢٢. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (٣٢٠هـ / ٩٤١ م) ، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت (١٩٥٨م) .
٢٣. سرور ، محمد جمال الدين ، قيام الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
٢٤. هيكل ، الدكتور محمد حسين (١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ م) ، حياة محمد ، القاهرة (١٩٦٥ م) .
٢٥. رضا ، محمد ، رسول الله ، بيروت ، دار الثقافة (١٩٧٥ م) .

٢٦. جمعة ، محمد لطفي ، ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٩ م) .
٢٧. العليلي ، الدكتور موسى بناي ، الهجرة والنصرة في القرآن الكريم ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، (١٩٨٩م) .
٢٨. وات ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، منشورات المكتبة المصرية .
٢٩. الملاح ، الدكتور هاشم يحيى (ولد ١٩٤٠ م) ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان (١٩٧١م) .